الرسالة

مجلة أدبية تعبر عن العروبة والفكر العربي المعاصر

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

الرسالة

تليفون ٤٢٧٩٤
٥٣٩٤٠

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشاً سنوياً
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد - القاهرة .

العدد ١٠٩٣ - الخميس ٢٠ شعبان ١٣٨٤ هـ - ٢٤ ديسمبر ١٩٦٤ م السنة الثانية والعشرون

بورسعيد الفدائية

بقلم: أحمد حسن الزيات

ان ما وقع في بورسعيد أيام الغزوة الثلاثية الاستعمارية من الفدائية القاهرة والبطولة النادرة كان أمرا لا ينقضي العجب منه ولا ينقطع الحديث عنه ولا ينتهي الاعجاب به !! مائة وستون الف جندي كما أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية ، وأسطول من الطائرات والمدرعات والمدمرات والحاملات والناقلات والكاسحات كما روى مستر هامسون بلدوين المراسل الحربي لصحيفة نيويورك تايمز ، سيرتها انجلترا وفرنسا الى غزو مصر ، ثم لايستطيع هذا الجيش الكثيف وهذا الأسطول المخيف أن يحتلا بعد اللتيا والتي الا جزءا ساحليا صغيرا من بورسعيد !!

ذلك شيء كنا نقرأ مثله في كتب الأساطير وقصص الخوارق ، وكنا نرى تمثيله على المسرح والشاشة فنهتز له ونعجب به ونطمح اليه على اعتباره مثلا يضربه الخيال الخصيب لما يجب أن تكون عليه البطولة ، ولكننا رأيناه رأى العين وسمعناه سمع الأذن في بورسعيد . فما الذي كسر هذا العدوان وفل هذه القوة ؟

لا مراء في أن مصر كانت تملك العناصر الجوهرية للنصر ، وهي حسن الاستعداد وقوة الاعتماد وشدة الكراهية للعدو ، ولكنها كانت تملك أيضا عنصرا رابعا لا يتيسر امتلاكه لأي شعب الا اذا ارتفعت الوطنية في نفوس أفراده الى مقام العقيدة الدينية الصوفية فيتحد وجود الفرد بوجود الشعب ، ووجود الشعب بوجود الوطن .. وذلك العنصر هو الفدائية الشاملة التي تنتظم الفرد والأسرة والأمة والحكومة والدولة ، فيكون كل واحد من هؤلاء فداء ضروريا للآخر .

والفدائية في سبيل الوطن أو الدين أدل على خلوص القلب وصراحة الايمان من الاستشهاد في سبيلها بالجهاد ، لأن الفدائي يبذل ولا يطمع في العوض ، ويضحي ولا يفكر في الثواب ، كل سعادته أن يشعر وهو يسبل عينيه على آخر شعاعة من نور الدنيا أن نفسه مغتبطة لأداء واجبه ، مطمئنة الى لقاء ربه .

أما المجاهد فهو يبيع ماله ونفسه ليشتري من الله الجنة « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون » فالتضحية في ذهنه بيع وشراء وعمل وأجر . على أن الفدائي الذي يقتل في سبيل شعبه ، تكتب له شهادة المجاهد في سبيل ربه .

كانت مصر قد بلغت اذن درجة الفدائية العاملة ، وهي درجة ليس بعدها الا النصر المؤزر ، والسلطان الدائم • كان الشعب على اختلاف طبقاته وحالاته قد أخلى باله من كل هم الا هم العدو ، فهو يسارع الى معسكرات التدريب ليستعد ، ويبادر الى ساحات القتال ليجاهد ، فاذا غصت المعسكرات واقتضت الحال أن تقدم القيادة بعضا وتؤخر بعضا ثار المؤخرون ورابطوا حول الساحات قياما وقعودا وعلى جنوبهم يلحون أن يسيروا الى ملاقاة العدو !

لقد كنا نرى طلاب الجامعات والمدارس يشترون لباس الميدان بأموالهم،ويتركون بيوتهم المترفة ليبيتوا في العراء على جوانب الطرق انتظارا للساعة الرهيبة الحبيبة التي يقدمون فيها دماءهم قربانا للوطن المقدس •

وكان الجيش على اختلاف اسلحته وفرقه قد انقلب جيشا من الفدائيين ليقاتل جيوش ثلاث دول ولا يبالي ، ويستقبل طوائر ثلاث دول ولا يفزع ، ويصادم أساطيل ثلاث دول ولا ينكل ! وكيف يبالي أو يفزع أو ينكل وهو يطلب النصر أو الموت ؟

لقد أصاب العدو في البر والبحر والجو اصابات قاتلة أوهنت قوته وأحبطت خطته وأذلت كبرياءه •

***

وفي بورسعيد تجلت فدائية الجيش والشعب في أروع صورة من البطولة لم يقع في سماع التاريخ مثلها الا في استالينجراد وسيباستبول !

كان من الجائز أن يلوذ البورسعيديون بالداخل ليأمنوا هجوم الكومندوس وجنود المظلات وقذائف الأسطول ، ولكنهم استحبوا الموت على الحياة ، والمجد على النجاة فثبتوا في مساكنهم وأماكنهم ثبات الأسود الذائدة عن عرائنها ، ووقفوا سدا من البسالة والصبر والصدق والايمان والتضحية بين الغزاة ومصر ، يردونهم بالنار ، ويدفعونهم بالحقد ، ولا يبالون بأربعمائة واثنين وسبعين غارة جوية في يوم واحد ، تتخللها موجات المظلات من قبرص ، وعجمات المدافع من السفن ، حتى هلك أكثر من نزل ، وانحصر طوال الأعمار منهم في رقعة من ساحل المدينة الباسلة لا يملكون أن يتقدموا منها ولا يستطيعون أن يثبتوا فيها •

ان التضحية التي بذلتها بورسعيد نساء ورجالا وشيوخا وأطفالا قد أنقذت مصر كما قال عبد الناصر ، وخدمت السلام كما قال نهرو ، وأفسدت الغزو كما قال كتلي •

أما الدماء الغالية التي أريقت ، والديار العزيزة التي أصيبت ، فانها ضريبة المجد ووثيقة النصر وفدية الحرية • وما ضاعت خسارة حررت وطنا ، ولا أهدر دم أحيا أمة •

« أحمد حسن الزيات »

... لاتنقضى !!!

بقلم : محمود محمد شاكر

- ٥ -

الآن نطرحه جانبا ، اعنى لويس عوض ، فانه لا خير فيه . لا ، لا ، فانا اكره الظلم ، ولا احب ان اظلم الرجل ، فان له فضيلة وفضلا . أما فضيلته، فانه مربح جدا لمن يحسن أن يستخدمه . أرأيت الى الدمية التى تدير مفتاحها لتملأها ، فاذا هى تحرك يديها ، وتمشى برجليها ، وتترنح أحيانا وتعتدل ، وتختال احيانا وتستقيم ، وتبتسم حينا ، وتوشك تبكى حينا آخر، وتفتح عينيها تارة، وتغمض جفنيها تارة اخرى ، ولولا قضاء الله على الجماد لنطقت ، ولولا قضاؤه لظلت تأتى من ذلك ما تأتى الى غير انقطاع ؟ ومحركها ، فى خلال ذلك ، ساكن قار لا يبالى ، ولا عليه أن لا يتدخل فى اعمالها، لأنها قلما تخطىء فى عمل . ان تكن هذه عجيبة ، فلويس عوض اعجب منها ، فقد ملأه مالئه منذ دهر ثم تركه، وضبطه الى اهداف بعينها ثم اطلقه ، فانطلق يجوس خلال الآداب عامة ، ثم الاداب العربية خاصة ، وهو لايكاد يرى الا ما ركب لأجله ، لايكاد يرى الااليونان، والروم ، والقرون الوسطى ، والمثقفين والحضارة الحديثة ، والحروب الصليبية ، والصلبان ، والخلاص، والفداء ، والخطيئة ، وكسر رقبة البلاغة ، وكسر عمود الشعر العربى ، واللغة العامية ، والفتح الانجليزى لمصر سنة ١٨٨٢ . وما شئت من امثال ذلك مما ضمنه كتبه ومقالاته قديما وحديثا . فهذا التركيب الموجه (!!) لا يكاد يرى ابن خلدون الا مقرونا باوروسيوس ، ولا المعرى الا مقرونا براهب دير الفاروس وبالحروب الصليبية وبالصلبان التى غصت بها حلب (!) ، ولا « وردة كالدهان » ، وهى من آيات العذاب يوم القيامة ، الا مقرونة بروزا مسكينا (مريم العذراء) . ومعاذ الله ، وبرأها مما فى عقله من السمادير . ولا يكاد يرى عمر مكرم ، وعرابى ، وجمال عبد الناصر الا مقرونين بالمعلم يعقوب رئيس الخونة المظاهرين للفرنسيس الغزاة ايام نابليون ، ولا توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وصلاح عبد الصبور ، الا مقرونين بعقائد الخلاص والفداء والخطيئة . ثم تأتى الطامة الكبرى ، فلا يكاد يرى القرآن العظيم الا مقرونا بترجمته الى اللغة العامية ، كما ترجم الانجيل الى اللغات الحديثة، وهى عامية اللاتينية ، والا مقرونا بكسر رقبة البلاغة ، وكسر عمود الشعر العربى . وهنا وهناك، تراه طائشا ، زائغ العينين ، خفيف العقل ، سليط اللسان ، قد استرخت مفاصل عقله ، وانحلت تلافيفه . هذا ، والذى اطلقه واقف من بعيد ينظر وفى عينيه الدهشة ، ويحك ذقنه بيده ، ويفتر ثغره عن ابتسام ، اعجابا باختراعه المدهش الذى ركبه واطلقه ، ولم يكن يظن ظنا أنه قادر على ان يتحرك فى عمود واحد من احدى الصحف السرية !! فاذا به (يبرطع) فى ثمانية أعمدة ، فى أكبر صحيفة فى العالم العربى والاسلامى ، هى الاهرام = وعلى اشرف منصة فى معهد الدراسات العليا التابع للجامعة العربية ، ويأتى فى خلال برطعته (وهى : البلتعة بالفصحى) بالعجائب التى لاتنقضى ، وقد ارتدى طيلسان أستاذ جامعى ، بلاحسيب ولارقيب. وهذا نجاح مدهش ولا شك ، وحق لمالئه أن يميد به الغرور وتستخفه الخيلاء باختراعه هذا العجيب ! فهذه هى الفضيلة التى لاتنكر للاختراع المسجل (لويس عوض) !

واما فضل هذا الاختراع المذهل (الويس عوض)، فانه جمع فى كل ماكتب عامة ، وفى مقالاته التسع عن شيخ المعرة ورسالة الغفران خاصة ، ضروبا من الخطل ، والترهات ، والسمادير ، والالاعيب ، والنزق ، واللكاعة ، والهوج ، والخباط (بضم الخاء وهو التخبط بلا عقل) ، مايعجزك أن تجمعه من كلام المستشرقين والمستغربين برمتهم ، من اقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ففاق فى ذلك امثال لامنس (المعروف بالاب لامنس) ، ولويس شيخو (المعروف بالاب لويس شيخو) ، وان كانا فى

الحقيقة أخف منه ظلا على كل حال، وأعقل (ولا ادرى كيف يأتى أفعل التفضيل هنا من «العقل»، ولكن هكذا كتبته ولاحرج). فبهذا الحشد الهائل مما ذكرت آنفا، أتاح لى لويس عوض أن أجعله محور المقالات التى أردت ان اكشف بها الغطاء عن ضروب من الهوس والمخرقة، لم تزل منتشرة فى كلام من سبقه ولحقه من قديم الآباد. فهذا أيضا فضل له لا اجحده، والا ظلمته ظلما مبينا، وانا اكره الظلم، ولا ارضاه، ولا اعين عليه.

أما وقد برئت من ظلم المطروح جانبا، لويس عوض، فانى أعود الى ما قطعنى عنه التهاوه مما سماه (بحثا) وهذه احدى الاعاجيب: لا أدرى كيف تطيق اللغات أحيانا ان تخادع عقول الناس فاللعب ربما سمى «اختراعا»، والجنون ربما سمى «ذكاء»، والفجور ربما سمى «جراءة» والعبث ربما سمى «بحثا»! هذا بعض ما يحيرنى فى أمر اللغات اليوم. نعم، قد كان قديما شىء يقال له «العقل»، يحول بين الناس واساءة استعمال اللغة، أما وقد ذهب «العقل»، فمن له باختراع جديد يحمى لغات البشر من اساءة استعمالها؟ هذا مايحيرنى! (ولزم التنويه، كما قال لويس عوض)!

وبعد، فأهلا وسهلا براهب دير الفاروس.
فحديثه كله تفاريح. ولكني احب ان لا اغادر لمن يريد أن يدارس الآداب على وجه صحيح، لا هذا الحديث حتى أستصفى مادته، وأجعله مثلا تسوق اليه حماقة او تسرع، فعلى أن خبر القفطى عن راهب دير الفاروس، ليس سوى خبر لقيط سقط فى كتابه لغير رشدة (أى، كالولد الذى ليس له اب ينتمى اليه)، مع تناقض اجزائه، واضطراب سياقه، ومباينته للمعلوم بالضرورة من حياة شيخ المعرة، ومن شعره أيضا، ومع تبين بطلانه من وجوه كثيرة ذكرتها آنفا، فهو أيضا خبر عليه توقيع «ظاهر» لمخمور تالف من علوج الشام وزواقيل الجزيرة (وهم بقايا أغتام الروم بالشام بعد الاسلام)، وذلك التوقيع هو ما فى بعض عبارته من رطانة وطمطمانية غير عربية، ومع كل ذلك، فنص الخبر يحمل الدليل القاطع، على أن هذا التالف أذكى عقلا، واشد فطنة، واحسن خلقا، ممن جعله برهانا على تعلم شيخ المعرة من راهب دير الفاروس!

فهذا التالف يذكر ان أبا العلاء لما كبر وخرج من معرة النعمان قصد طرابلس: «فاجتاز باللاذقية، ونزل دير الفاروس». فهذه الفاظ قليلة واضحة، من أخذها بغير حقها غمضت عليه، وأوقعته فى الدهاريس (وهى الدواهى)!!

فانت تقول: «جزت الطريق»، اذا سرت فى جوزه، أى وسطه، وسلكته نافذا الى غايتك. ثم تقول: «أجزت الموضع»، اذا سرت فى جوزه، وقطعته وخلفته وراءك. فزيادة الألف زادت فى معناه شيئا. فاذا زدت فى بناء الكلمة فقلت: «خرجت من دارى فاجتزت بدار فلان»، فمعنى ذلك أنك مررت بها وخلفتها وراءك غير متوقف. ولا يكون معناها ابدا أنك نزلت داره واقمت فيها، لأنه مناقض لاشتقاق اللغة. فاذا جئت الى مسافر طويل الرحلة فقلت: «اجتاز بالبلدة»، فانت بالخيار فى استعمالها، أن تريد: مر بها وتخطاها غير متوقف، أو تريد: مر بها ثم توقف ساعة او ساعتين او ليلة او ليلتين، فتقول: «اجتاز بالبلدة فنزل دار فلان» ولكن لا بد من هذه الاضافة «فنزل دار فلان». ولكن هذه الزيادة فى معنى «اجتاز»، لا تأتى من أصل الاشتقاق، ولكن من شىء خارج، وهى أن المسافر الطويل الرحلة، لابد له من وقعة ونزول عن راحلته، ليستجم هو، وليريح راحلته، ويصلح رحله واداوته، ويتزود لسفره بطعام وماء، ثم ينطلق. فهذه فترة استجمام، لا فترة اقامة، وهى قليلة معدودة الساعات او الليالى، لا تزيد عن ليلتين أو ثلاث. وهذا صريح استعمالها، كالذى يجىء فى العهود بيننا وبين أهل الذمة، ففى كتاب حبيب بن مسلمة الفهرى فى فتح أرمينية، على عهد عثمان رضى الله عنه يقول: (الأموال: ٢٠٩، فتوح البلدان: ٢٠٩).

«ولنا نصيحتكم وضلعكم (أى الميل والمعونة) على عدو الله ورسوله والذين آمنوا فيما استطعتم، وقرى المسلم المجتاز ليلة بالمعروف، من حلال طعام أهل الكتاب وحلال شرابهم».

فالمجتاز، فى هذا الخبر، هو المسافر الذى يقطع طريقا طويلا الى غايته. فيجتاز بمكان، فيحتاج الى الراحة والزاد، فينزل ساعة أو ساعات أو ليلة الى ثلاث ليال، ثم يرحل عنه مخلفا وراءه ذلك المكان،

فقـول صـاحب خبر الراهب حين قال : « فاجتاز باللاذقية » ، لم يعنِ سوى أنه مر بها وخلفها وراءه غير متوقف · وسنرى أنه لا يمكن أن يكون دخـل اللاذقية أو اقام بها · هذه واحدة ·

أما قوله : « ونزل بدير الفاروس » ، فمعنى «نزل بالمكان» هو أنه اقام به قليلا ثم رحل · فان أصـل « النزول » في لغة العرب ، هو الهبوط والانحـدار من علو الى سفل، تقول : «نزل الراكب عن دابته» ، « نزل المطر » ، و « نزل في بئر » ، وأمثال ذلك · ولما كان المسافر البعيد الشقة أكثر ما يكون راكبا ، قالوا له اذا مر بمكان ، فاراد أن يريح دابته ويتزود لرحيله ، فحط به ساعة أو ليلة أو ثلاث ليال على الأكثر : « نزل بالمكان » أى نزل به دابته ليريحها ، ثم يقيم للراحة قليلا ، ثم يرتحل · وذلك الموضع الذى نزل به هو « المنزل » · ومن أجل ذلك سموا الضيف الذى يمـر بك ثم يرحـل عنك غير مقيم « النزيل » ، وسـموا ما تهيئـه له من القـرى : « النزل » (بضم النون ، وضم الزاى أو سكونها) ، لأنه يقـدم لمن ينزل بهم · وأما الذى نسميه اليـوم « المنزل » ، حيث نقيم نحن ، فانمـا هو فى العربية « البيت » و « الدار » · هذه ثانية ·

فهذان اللفظان ، « اجتاز » و « نزل » ، مجتمعين فى جملة بالعطف ، أو منفردين ، لا يدلان البتة على اقامة طويلة بمكان ، الا كحسوة الطائر فى مسـافة السفر ، فهى اقامة ساعة أو ساعات ، أو ليلة الى ثلاث ليال على الأكثر · هذا كل ما تستطيع أن تطيقه اللغة ، وما يؤديه أصل الاشتقاق · فمن فهم منهما غير ذلك فقد أساء ، وأهدر معانى الألفاظ ، وجهـل حدود الكلام ، وخلط خصائص المفردات وجعلهـا مترادفات لا خير فيها ، ولا حد لها · فمن قرأ كلام القفطى والذهبى وقولهما : «فاجتاز باللاذقية ، ونزل دير الفاروس» فقال كما قال الدكتور طه حسين : « فمر فى طريقه باللاذقية ، فنزل بدير فيها ، ولقى بهذا الدير راهبا قد درس الفلسفة وعلوم الأوائل ، فأخذ عنه ما شككه فى دينه وفى غيره من الديانات » ، ثم قوله بعـد ذلك : « فلا شـك أنه درس هـاتين الديانتين (يعنى اليهودية والنصرانية) فى أسفاره الأولى ، فاما أن يكون ذلك فى انطاكية ، واما أن يكون فى اللاذقية» · فهو قد جاوز الحد وأساء غاية الاساءة ، لأن صدر الكلام عن الرحلة يدل على اجتياز مسافر باللاذقية ونزوله بدير ، ولا يزيد ذلك عن ساعات أو أيام ثلاثة · وأيام ثلاثة ليست تعين على معرفة نبذ يسيرة ، فضلا عن دراسة · ومن قرأ ذلك فقال كما قال لويس عوض : « وقد تعلم المعرى فى اللاذقية » ، فقد بالغ فى الاساءة ، وخرج أيضا عن حد المعقول ، وكلا الرجلين أهـدر معنى « اجتاز » و « نزل » · وأصح منهما ادراكا لحقائق الألفاظ وما توجبه من المعانى ، اختصار ابن كثير لخبر الراهب ، فانه تصرف فى لفظ القفطى كل التصرف ، ولـكنه أصاب حقيقة المعنى فقال : « ويقال انه اجتمع براهب فى بعض الصوامع ، فى مجيئه من بعض السواحل ، آواه الليل عنـده ، فشـككه فى دين الاسـلام » · فاستخرج من لفظ القفطى أنه نزل عند الراهب ليلة واحدة ! فهذا اختصار فاهم ومبين أيضا ، مع دقة فى الاستنباط · وفى حديث القفطى نفسه ما يدل دلالة قاطعـة على أن الأمر لم يكن « دراســة » ولا « تعلما » ، لأنه قال : « فسمع منه أبو العلاء كلاما (أى من الراهب) من أوائل كلام الفلاســفة » ، و « السماع » لا يكون دراسـة ولا تعلما ، بل هى كلمات قلائل سمعها لا غير · واذن فالاجتياز باللاذقية ثم النزول بالدير ، ثم سماع كلمات قلائل مشككة ، كلام متسق متناسب ، ومطابق لمفهوم اللغـة ، ولا يعقل عـاقل أن يجعل هـذا المعنى الواضح : اقامة باللاذقية والدير ودرسـا أو تعلما !! الا اذا فهمنا اللغة على أسلوب « وردة كالدهان » انهـا هى « روزا مسكيتا » ! وسائر العجائب التى لا تنقضى ·

وفى هذه الجملة لفظ آخر هو « دير الفاروس » ، فلفظ « الدير » فى العربية يدل على بيت النصارى الذى يتعبد فيه رهبانهم ، قال ياقوت : « والدير لا يكاد يـكون فى المصر (أى المدينة) ، انمـا هو فى الصحـارى ورءوس الجبال ، فان كان فى المصر ، كانت كنيسة أو بيعة ، وربما فرق بينهما ، فجعلوا الكنيسة لليهود ، والبيعة للنصارى » (البيعـة ، بكسر الباء) · واذن فدير الفاروس كما تدل عليه اللغة ، وكما هو معروف الى اليوم ، ليس فى مدينة اللاذقية نفسها ، بل هو بعيد عنهـا فى ظاهرها (ظاهر المدينة ، خارجها) · وهذا يطابق صفة هذا الدير ، فان ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٤٩) ، مر به فى رحلته فوصـفه فقال : « وبخارج اللاذقية ، الدير المعروف بدير الفاروص ، وهو أعظم دير بالشـام ومصر ، يسكنه الرهبان ، ويقصده النصـارى من الآفاق ، وكل من نزل به من المسلمين ، فالنصارى يضيفونه » ، ومثل ذلك قال ابن فضـل الله العمرى (٧٠٠ - ٧٤٩) : « دير الفـاروس ، علـى جانب اللاذقية من شمالها ، فى أرض مسـتوية ، وبناؤه مربع ، وهو حسن البقعة » ·

فاذ كان « دير الفاروس » ببقين خارج مدينة اللاذقية ، فمعنى قول صاحب الخبر : « فاجتاز باللاذقية ، ونزل « دير الفاروس » ، اى مر باللاذقية وخلفها وراءه ولم يدخلها ، حتى بلغ دير الفاروس خارج اللاذقية ، فنزل به ضيفا ، على ما جرى عليه امر اهل الذمة مع أهل الاسلام ، فأضافه رهبان الدير ، كما قال ابن بطوطة ، فمن زعم أن أبا العلاء درس اليهودية والنصرانية باللاذقية ، ومن زعم أنه تعلم باللاذقية ، استخراجا من هذا الخبر ، فهو مبطل اشد البطلان ، لأن الدرس والتعلم كلاهما يقتضى طول الاقامة باللاذقية ، والخبر بجميعه يدل كما أسلفت على أنه مر باللاذقيةوخلفها وراءه ولم يدخلها، وهذا ظاهر فيما أظن ! لانه مطابق لمعنى اللغة ومقتضى اشتقاقها · أليس كذلك ؟ وعلى أى وجه قلبت كلماته ، فانه لا ينتهى الا الى ما قلت ·

وهذا الذى كان يجرى بيننا وبين أهل ذمتنا من النصارى ، مبين فى الاحاديث والأخبار · ففى حديث أبى الحويرث : أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب على نصارى ايلة ثلثمئة دينار كل سنة ، وأن يضيفوا من مر بهم من المسلمين ثلاثا ، وأن لايغشوا مسلما » (سنن البيهقى ٩ : ١٩٥) ·

وفى كتاب عمر رضى الله عنه الى أمراء أهل الجزية: « أن لا يضعوا الجزية الا على من جرت عليه المواسى (أى من بلغ) ·· ويضيفون من نزل بهم من أهل الاسلام ثلاثة أيام » (سنن البيهقى ٩:١٩٥) ·

وكتب عمر أيضا الى أمراء الأجناد : « أيما رفقة من المهاجرين آواهم الليل الى قرية من قرى المعاهدين من مسافرين فلم يأتوهم بالقرى ، فقد برئت منهم الذمة » (سنن البيهقى ٩ : ١٩٨)

فالذى ذكره ابن بطوطة من اضافة نصارى دير الفاروس للمسلمين ، انما هو حق واجب بالعهدالذى بيننا وبينهم ، ظلوا يعملون به منذ جاء الاسلام · فالمسلمون فى أسفارهم يمرون بالأديرة ، فينزلون بها ، ويريحون أنفسهم ودوابهم ، ويقدم النصارى اليهم القرى ليلة أو ليلتين أو ثلاث ليال ، وليس عليهم بعد ذلك شىء ، ثم يرحلون عنهم · وفى الأخبار السالفة لفظ « مر بهم » ، و « نزل بهم » ، وهى بالمعنى الذى أسلفت شرحه · فابو العلاء ، ان كان قد نزل بدير الفاروس ، فانما نزل به على العادة الجارية بلا زيادة ، فى طريقه الى طرابلس ، كما زعم صاحب هذا الخبر ، وليس فيه ما يدل على اقامة، واذ لا اقامة فلا درس ، ولا تعلم !! أليس ذلك واضحا أيضا ؟

هكذا كان شأن الأديرة فيما سلف فى أول الاسلام، ولكن يبقى شىء لا بد من ذكره · فبعد العهد الأول، صار لهذه الأديرة شأن آخر ، فهى بطبيعة بنائها كانت خارج المدن ، فى بقاع حسنة ، وأماكن نزهة، وكان النصارى فى سلطان الاسلام متروكين على عاداتهم وأحوالهم ، لا يعترضهم أحد ، لهم خماراتهم على مقربة من أديرتهم ، ويقصدها النساء والرجال على جارى عاداتهم ، لأنهم خارج مدن الاسلام ، فصارت لها شهرة أخرى · ومن قرأ كتب الديارات (أى الأديرة) ، رأى عجبا ، ولن أثقل على احد بنقل الأخبار عن دير دير منها ، ولكنك اذا أخذت كتاب الديارات للشابشتى (··· ــ ٣٨٨) ، وهو قريب العهد برحلة أبى العلاء التى زعمها صاحب الخبر ، رايت منذ أول صفحة فيه :

« دير درمالس : عيده أحسن عيد ، يجتمع نصارى بغداد اليه ، ولا يبقى أحد ممن يحب اللهو والخلاعة الا تبعهم » ثم يذكر أشعارا وأخبارا فى هذا الدير وسكانه من الرهبان ، وقصاده من أهل اللهو والخلاعة ·

ثم يليه : « دير سمالو : فيه منظر عجب ، لأنه لا يبقى نصرانى الا حضره وتقرب فيه (أى تناول القربان) ، ولا أحد من أهل التطرب واللهو من المسلمين الا قصده للتنزه فيه » ، ثم ذكر الاشعار فيه كذلك ·

ثم يليه : « دير الثعالب : أعمر موضع وأنزهه ، لما فيه من البساتين والشجر والنخل والرياحين ، ولتوسطه البلد وقربه من كل أحد ، فليس يخلو من أهل البطالات ، ولا يخل به أهل التطرب واللذاذات ··· » ، ثم ذكر الاشعار فيه وفى رهبانه وقصاده ·

وتظل تقرأ مثل هذه الاخبار حتى تنتهى من الكتاب وفيه أخبار شنيعة أعرض عن ذكرها· وكذلك ما جاء فى كتاب مسالك الابصار فى ذكر الديارات والحانات ، لا يكاد ينقضى عجبك من كثرة ما قيل فيها وفى رهبانها وقسوسها من الشعر ، اكره أن اذكره لقبح ما فيه ، ولكنه يدل دارس العصر على أن امر هذه الأديرة كان قد خرج عن الحد المستحسن ، لما شاع فيها من التبطل باللهو والخمور · أما دير الفاروس الذى يعنينا هنا ، فحسبك أن تقرأ ما قاله ابو على الحسن بن على القرى فيه وفى بعض رهبانه :

لم انس فى الفاروس يوما ايضا
مثل الجبين يزينـه فرع الدجى

ثم يقول :

ولدى من رهبـانه متنمس
اضحى لفرط جماله متبرجا
احوى اغن اذا تردد صوته
فى مسمع رد احتجاج ذوى الحجى
لا شئ الطف من شمائله اذا
حث الشمول ، ولفظه قد لجلجا
فله ولليوم الذى قضيته
معه بكائى ، لا لربع قد شجا

فهذه حالة سيئة جدا ، كانت عليها الاديرة فى القرن الرابع الهجرى وما بعده ، لأنها كانت ماوى أهل البطالة والعبث والمجون والخمر، وكان لرهبانها اخبار لا يستحب ذكرها ، وعجائب من اللهو لا تنقضى .

وأما اللاذقية نفسها، وكانت تحت سلطان الروم، فكان أمرها اشنع . فان احد معاصرى أبى العلاء ، وهو أبو الحسن بن بطلان ، الطبيب النصرانى المشهور ، (واسمه : المختار بن الحسن بن عبدون بن سعدون بن بطلان) ، كان خرج فى رحلته ، فكتب فى رسالة رحلته مانصه : « وخرجت من انطاكية ، الى اللاذقية ، وهى مدينة يونانية ، لها ميناء وملعب للخيل مدور ، وبها بيت كان للاصنام ، وهو اليوم كنيسة ، وكان فى أول الاسلام مسجدا . وهى راكبة البحر ، وفيها قاض للمسلمين ، وجامع يصلون فيه ، واذان فى أوقات الصلوات الخمس . وعادة الروم ، اذا سمعوا الأذان ، أن يضربوا الناقوس . وقاضى المسلمين الذى بها من قبل الروم، ومن عجائب هذا البلد : المحتسب ، يجمع القحاب والغرباء والمؤثرين للفساد من الروم فى حلقة ، وينادى على كل واحدة منهن ، وتتزايد الفسقة فيها لليلتها تلك ، ويؤخذن الى الفنادق التى هى سكن الغرباء ، بعد أن تاخذ كل واحدة منهن خاتما ، هو خاتم المطران ، حجة بيدها من تعقب الوالى لها ، فانه متى وجد خاطئا مع خاطئة بغير خاتم المطران الزمه جباية » ، (أى غرامة) (تاريخ الحكماء للقفطى : ٢٩٦ ، وغيره) وهذا بالطبع قبيح جدا ، والعجب منه لاينقضى . ولا أحب أن أكثر من أمثال هذه الاخبار ، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق !!

فاذا كانت هذه هى حال الأديرة على عهد أبى العلاء ، وان كنت قد استحييت أن أعطيك صورتها واضحة ، وكانت هذه هى حال اللاذقية على وجه الخصوص ، ولم يكن ابو العلاء من اهل ذلك الشأن، لا هو ولا أحد من أهله ، قضاة المعرة وشيوخها ، فهل تظنه كان معقولا ان يتركه أهله يخرج وحيدا، أو مع رفيق لايعقل ولا يحسن الرعاية ، فيمر به على اللاذقية ويقيم بها ، أو بدير الفاروس ويقيم به، لكى يتعلم فى هذه او ذاك ، وعلى هؤلاء الرهبان ايضا !! هذا عجب ، أن يبلغ أهل الفتى الأعمى ذلك المبلغ من الجهل بأحوال ثغورهم ، فيتركوا فتاهم فى أيدى هؤلاء يعلمونه ويثقفونه ؟ هذا سوء تصور للماضى أسوأ التصور . وأسوأ منه أن تظن أن هؤلاء كان لديهم من الفراغ مايتدارسون فيه آداب اليونان وفلسفتهم فى لغاتها الأصلية ، كما يقول لويس عوض ، فى عجائبه التى لاتنقضى

ثم نعود **فننظر نظرة خاطفة** فى أمر ساشرحه مفصلا يوما ما . أصحيح أن اضلال أبا العلاء ، الفتى الضرير ، عن دينه ، كان يحتاج الى « راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل ، فيسمع منه كلاما من أوائل كلام الفلاسفة ، فتحصل له شكوك ليس عنده مايدفعها به ، ويحصل له بعض الانحلال » ؟ أصحيح هذا ؟ واذن فاين ما كان من ترجمة كتب الفلسفة من قبل عهد المأمون، الى أن كان أبو العلاء ؟ وهى مئات يكفى أيسر النظر فى مثل فهرس ابن النديم ، حتى تعرف كثرتها . لا بل أين ماكتبه مثل الكندى ، فيلسوف العرب وابن ملوكها (١٨٥ ـ ٢٥٢) قبل أن يولد أبو العلاء بأكثر من قرن كامل؟ وأين ماكتبه الفارابى « المعلم الثانى » ، ضريع أرسطو (٢٥٧ ـ ٣٣٩) ، وهو قريب العهد والدار من أبى العلاء ، وكان آخر أمره مقيما بحلب مع سيف الدولة وصاحبه المتنبى ؟ وأين ماكتبه اخوان الصفاء الذين اشتهر أمر رسائلهم قبل أن يولد أبو العلاء بزمان ؟ لا بل أين ماكتبه من هو أضل ضلالا من كل هؤلاء كابن الراوندى وأشباهه منذ قديم ؟ وأين الزنادقة القدماء من شعراء وكتاب ؟ أترى معرة النعمان لم يدخلها كتاب واحد من هذه الكتب ، ولا قراه قارىء ، ولا ضل به ضال ؟ الى أن ولد أبوالعلاء ثم « كبر ، ووصل الى سن الطلب ، وطمحت نفسه الى الاستكثار من ذلك » ؟ كما فى خبر الراهب . أتراه الى أن بلغ سن الطلب ، لم يسمع بخبر ولا شعر ، ولا قرىء له كتاب فى زندقة او ضلالة ليس

عنده مايدفعها به ، حتى يحتاج الى رحلة في صباه، الى اللاذقية ودير الفاروس ، فيجد هناك راهبا شاديا لشيء من علوم الأوائل فيضلله ؟ أهذا كلام يعقل ؟ ولو شئت أن أسوق مايذهل من دواعي الضلالات من فلسفة وغير فلسفة ، وما كان متفشيا في المذاهب والنحل والأهواء في الشام وغير الشام قبل أن يولد أبو العلاء بأزمنة طوال ، لبلغ منك العجب مبلغا . ولكني اكتفيت بهذا التساؤل ، لأن أدنى معرفة أو بصيرة ، توجب على المرء أن يقطع ببطلان خبر هذا الراهب ، من هذا الوجه وحده ، دون سواه من الوجوه التي دارستها فيما سلف .

فمن أعجب العجب بعد ذلك أن يأتي انسان يظن في نفسه أن له عقلا يفكر به ، فيصدق مثل هـذا الخبر اللقيط المتداعي من نواحيه جميعـا ! وأعجب من تصديقه أن يستخرج من سياقه أن لقاء مثل هذا الراهب المذكور في الخبر ، وسماع كلمات منه ، كان تعلما ! وأعجب من هذا الاستخراج ، أن يستولد منه أن « علوم الأوائل » التي كانت تقرأ في الأديرة تحت حـكم الروم ، هي « آداب اليونان وفلسفتهم في لغتها الأصلية » . وأعجب من هذا التوليد في مقاله الخامس ، أن ينتهي لويس عوض هـذا ، في مقاله السابع الى تساؤل ذكي جدا ، بعد غثاء كثير جدا ، فيقول : « أليس من حقنا بعد هذا كله أن نفترض أن المعري كان متفقا في تراث اليونان القديمـة ، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من أدباء عصره (أي وجه هـذا ؟) ، وأنه قرأ هوميروس ، وأرسطوفانيس ولوسيان على أقل تقدير . (بالطبع مادمت أنت تريد ذلك) ، سواء في ترجمات عربية ضاعت ، أو في نصوصها الأصلية ؟ بل أليس من حقنا أن نشتبه في أن المعري كان عارفا بلغةاليونان يقرأ فيها أدب اليونان ، بعد كل مارأيناه من وصف البيئة المحيطة به ، ومن وصف نشأته وتعليمه الرسمي ؟ » . كيف لايكون من حق لويس عوض أن يقول ماشاء ، فمن الذي يحاسبه !!

انا أحب أن أرى رجلا واحدا في الناس جميعا ، يستطيع أن يشهد لهذا الانسان بأنه يحمل على كتفيه رأسا كرءوس النـاس ! ظل يلج في كلام لا يربط بينه رابط ، حتى انتهى الى أن شيخ المعرة قـد أقام في اللاذقيـة ودير الفـاروس حتى تعلم اليونانية القديمة (وذلك في سنة ٣٨٠ تقريبـا ، باللعجب!) ، وقرأ فيها هوميروس، وأرسطوفانيس ولوسيان على أقل تقدير ! (ماأشد تواضعك !) في ترجمات عربية ضاعت !! (ماهذه النبوءات !) أو في نصوصها الأصلية . ثم يختم هـذا بالمرسوم الموقع عليه باسمه الكريم ، ان هذا الذي كان في اللاذقية هو « تعليمه الرسمي » !! أما تعليمه في معرة النعمان فغير رسمي !! وأنا أدع للقارىء أن يفكر هو لنفسه في صفة جديدة يصف بها هذا الانسـان ، فقد أعوزتني اللغـة ، مقرا بعجزي عن ملاحقته بصفات توصف بها كتابته ، أو يوصف بها تفكيره !

واذا حب القارئ أن أعينه ، فأنا أعينه بفقـرة منقولةبنصها من الكتـاب النفيس : « بلوتولاند وقصائد أخرى » في التجربة الأولى من تجاربه . يقول لويس عوض في ترجمتـه للويس عوض : « وعقلية لويس عوض عقلية زمنية حقا !! فهو يفهم أن هذا الانقلاب اللغوي الأدبي ، لم يقوض أركان الدين في أوربا ، وانما قوض أركان الكنيسة التي خشيت أن يقرأ الشعب الساذج كلام السماء بلغة يفهمها ، فتسقط عن بصره الغشـاوة ، ويدرك أن رجال الدين انما يزيفون عليـه من عندهم دينا ، ليسلس قيـاده ، ويبقى راكعا أمام الأشراف . وهو يفهم (أي لويس عوض يفهم) أن أبسط بنت تبيع الكرافتات في شيكوريل ، تعرف عن المسيحية أكثر مما كان يعرف البابا الذي شن الحروب الصليبية (أي في زمن أبي العلاء تقريبـا ، وفي زمن راهب دير الفاروس) ، أو البـابا الذي أعدم الأحرار على الخازوق ، أو البابا الذي كان يضاجع أخته ... » (روجع على الاصل . فلزم التنويه ، كما قال لويس عوض) . وأدع للقارىء أن يجمع بين الكلامين بلا تدخل من قبل ، وسينتهي أيضـا الى عجـائب لا تنقضي .

أما الآن ، فأحب أن أختم القول في حديث راهب دير الفاروس ، ببيان لا بد منه لكل عاقل يدارس الآداب ، في العربية وغير العربية . فمثل هذا الخبر اذا جاء ، وعرف بطلانه من وجوهه الصحيحة التي تقوم بهـا مناهج الدراسة ، وجب على الدارس أن يلتمس العلة التي من أجلها وضع الخبر واضعه . وقد كنت استنبطت من بعض ألفاظ الخبر أنه خبر زيفه علج من علوج الشـام ، أو زاقول من زواقيل الجزيرة ، ثم ألقى به الى القفطي (٥٦٨ ـ ٦٤٦) بعد وفاة أبي العلاء بقرنين تقريبا ، ليطرفه به (على سبيل الفكاهة) لما رأى من حيف القفطي على شيخ المعرة ، وحرصه على مذمته ، فلفق له هـذا الخبر مريدا لتحقير أبي العلاء ، ووصفه بالضلالة وسخف

العقل ، اذ تمكن من اضلاله ، وهو طالب علم صغير، راهب يشدو شيئا من علوم الأوائل . وكأنه اراد أن ينقض به ما كان يقال ويذكر من ذكاء هذا الفتى الأعمى في صغره ، مما رواه القفطي نفسه في ترجمته لشيخ المعرة .

وليس هذا بعجيب . فالمتنبي ، وهو أيضا ممن كان يوصف بالذكاء صغيرا ، وقدح الناس في عقيدته كما قدحوا في عقيدة شيخ معرة . ابتلي أيضا مثل ابتلائه . فان أبا القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني ، ألف لبهاء الدولة البويهي كتابا في المتنبي ، ليرضيه به ويشفي غليله في أبي الطيب، فكتب فيه ما يلي ويعني المتنبي ! « وهو في الجملة خبيث الاعتقاد ، وكان في صغره وقع الى واحد يكنى أبا الفضل بالكوفة من المتفلسفة ، فهوسه وأضله كما ضل » . فهذا شبيه بما قيل في أبي العلاء حذوك النعل بالنعل ! وليس لهذا حقيقة ، كما بينت ذلك في كتابي عن المتنبي ، وانما هو ارادة الاستخفاف لا غير .

اما مسألة « الراهب » فلها عندنا شبيه قديم ، ففي كتاب مذكور عندنا رآه البيروني ونقل عنه ، وهي رسالة « عبد الله بن اسماعيل الهاشمي ، الى عبد المسيح بن اسحق الكندي ، ورده عليها » وهي مطبوعة بمصر طبعات ، وطبعت أيضا مرات (في لندن المحروسة سنة ١٨٨٥ مسيحية) . ذكر عبد المسيح اولية امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما زعم : « انه كان رجل من رهبان النصارى ، يعرف بسرجيوس ، أحدث حدثا أنكره عليه أصحابه ، فحرموه وأخرجوه ، وقطعوه عن الدخول الى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته على ما جرت به العادة منهم في مثل هذا الضرب . فندم على ما كان منه ، فأراد أن يفعل فعلا يكون له به تمحيص عن ذنبه ، وحجة عند أصحابه النصارى ، فصار الى بلد تهامة فجالها حتى أفضى الى تربة مكة . فنظر البلد غالبا فيه صنفان من الديانة ، فكان الاكثر دين اليهود ، والآخر عبادة الاصنام . فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك (أي رسول الله بأبي هو وأمي) حتى استماله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، وذلك أنه اراد بتغيير اسمه اثبات رأي نطوريوس الذي كان يعتقده ويتدين به . فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ، ويلقي اليه الشيء بعد الشيء ، الى أن أزاله عن عبادة الاصنام ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس ... » الى آخر هذه الشنشنة التي يطول نقلها ، (والشنشنة : الطبيعة والعادة) . والمخرقة السخيفة التي لا تنقضي عجائبها !!

ومن قبل هذا ما قالت قريش بمكة ، وكان فيها نصراني أعجمي اللسان ، ربما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وجالسه ، فكان المشركون يقولون : انما يعلمه هذا النصراني ، فانزل الله في كتابه في سورة النحل : « **ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين** » .

فهذه الشنشنة التي نعرفها من كفار قريش ، ومن عبد المسيح الكندي ، ومن الاصفهاني ، باتخاذ راهب من الرهبان أو متفلسف ضال محورا تحاك حوله قصة ، هي الشنشنة التي ورثها علج الشام أو زاقول الجزيرة ، حين أراد النيل من شيخ المعرة وثلبه فابتلى راهب دير الفاروس بما لا أظنه كان يحسن منه شيئا ، فضلا عن أن يشدو منه طرفا !! ثم لا أظن أن حاله مع أمثال أبي الحسن الغزي الشاعر العابث ، أو مع مطران اللاذقية ، كان يتيح له وقتا يتفرغ فيه لتلاوة هوميروس ، وارسطو فانيس ولوسيان ، فضلا عن تعليم فتى عربي مسلم أعمى لغة اليونان القديمة ، وتعلمها يحتاج الى دهر طويل ! وكل خسيس العقل مستطيع أن يكذب على الناس ويلفق عنهم الأخبار ، وقادر أيضا أن يقول ما شاء ، كما يشاء متى شاء ، بلا حسيب ولا رقيب! ومع ذلك فاني أجد هذا العلج ، أو ذاك الزاقول ، أخف الجميع دما وعقلا ، وان كان كذبه قد كلفني المشقة في تتبع أخبار شيخ المعرة ، مع تزاحم العمل وكثرة الشواغل .

والآن وقد فرغت من مدارسة حديث راهب دير الفاروس ، اطرحه هو أيضا جانبا ، لأنه حديث لا خير فيه ، ولأنه خبيث المخرج ، خبيث المعنى ، خبيث الموارد والمصادر ، ورحم الله شيخ المعرة ، كأنه كان يعني هذا الذي نحن فيه اذ يقول :

يا كاذبا لا يجوز زائفه
وما عليه من فضة وضح
كشفت عما تقول مجتهدا
لعل حقا لطالب يضح
فكلما هذبتك تجربة
انشأت للباحثين تفتضح

وكفى بالفضيحة عارا لمن يعقل . (والعرض مستمر) ؟

« محمود محمد شاكر »

خلط عجيب ..!!

بقلم : عمر الدسوقي

قرأت في عدد الرسالة الصادر في ٢٦ من نوفمبر ١٩٦٤ مقالا تحت عنوان «مصادر القصص القرآني» يدعي فيه صاحبه انه قد وقف على مالم يقف عليه الأولون من لدن نزل القرآن حتى اليوم ، وعرف من أين استقى القرآن قصصه ، ولا يكاد كلامه يخرج عما يردده بعض المستشرقين الذين ملأ الحقد على الاسلام قلوبهم ، ولم ينظروا الى القرآن على انه كتاب سماوي مقدس نزل من لدن حكيم عليم ، وانما هو في زعمهم كتاب صنعه محمد ، عليه السلام ، ليفتن به العرب عن دين آبائهم ويمكن لدعوته ، وانه أخذ كثيرا عن التوراة والانجيل . ولقد ابتلاني الله يوما من الايام باستاذ انجليزي في جامعة لندن كنت أدرس عليه اللغة الحميرية ، ويكاد يكون ماورد في مقال الرسالة الذي نحن بصدده صورة مما كان يقوله هذا الاستاذ وهو « الدكتور ترتن » ، وكثيرا ما وقع بيني وبينه الجدل حول هذا الموضوع ، وما ان قرأته على صفحات الرسالة حتى عادت لذاكرتي تلك المجادلات مع هذا القسيس الانجليزي المستشرق ، وقد مضى عليها أكثر من ربع قرن .

ووقع كاتب المقال في أخطاء شنيعة ، لا اقول انها نتيجة سوء النية فانا اعرفه شابا مسلما طيبا ، ولكني ، والحق يقال ، فجعت فيه حين قرأت ما كتبه تحت عنوان « مصادر القصص القرآني » . واغلب الظن ان هذه الاخطاء جاءت أثرا من آثار شهوة التعالم ، وادعاء الوقوف على مالم يصل اليه سواه ، ولو أدى ما يقول الى الكفر والعياذ بالله .

بسط في أول مقاله ثقافة العرب في الجاهلية ، وانهم عرفوا شيئا من قصص التوراة والانجيل ، وشاعت بينهم قصة بناء ابراهيم وابنه اسماعيل للبيت الحرام ، وكثرت لديهم الأوهام والخرافات عن الجن والغيلان والسعالي ، وانتشرت قصص الحيوان ، ويقول : « ان جزءا من تلك الثقافة أدخل في باب الاساطير ـ كما تبين لنا من تعليق المسعودي على الهواتف والجان ، والظنون الكاذبة والاوهام الفاسدة ، فهل يلغيها القرآن ـ وهو تنزيل من حكيم عليم ـ بجرة قلم واذا فعل يستطيع أن يضمن لدعوته النجاح ، أو ان النتيجة ستكون ازورار القوم واعراضهم عن هذا الشيء الذي يصدم وجدانهم ويهزأ بلا وعيهم ، ان القرآن لم يصدم وجدانهم ، ولم يهزأ بلا وعيهم ، بل استطاع أن يتحايل على هذا الوجدان ، وأن يطب لهذا اللاوعي ... » .

فالقرآن في رأيه حريص على ممالأة الوجدان العربي ، ولو في الاوهام الفاسدة والظنون الكاذبة حتى يضمن لدعوته النجاح ، وانه « تحايل » مع هذا الوجدان ، ولو كان ذلك صحيحا ـ وهو ليس بصحيح البتة ـ ما سفه القرآن احلامهم واحتقر آلهتهم ؛ ورماهم بكل نقيصة وجعلهم وقودا للنار ؛ وهددهم بعذاب اليم . ولم تكن تلك الخرافات عندهم أغلى من آلهتهم ، بل ان العقيدة الدينية تتغلغل في صميم الوجدان .

ولقد نزل القرآن على النبي الكريم رسالة قدسية تخاطب العقل وتهديه سبيل الرشاد ، ولم يهادن القرآن العرب في مسالة العقيدة أي نوع من المهادنة ، ولم يكن يتحايل على الوجدان العربي ، وانما كان يصدم هذا الوجدان صدما شديدا حين يصف آلهتهم التي صنعوها بايديهم بأنها لاتعقل ولا تعي ولا تغني عنهم شيئا من الله .

وساق الكاتب امثلة على هذا « التحايل » على الوجدان العربي وممالأة اللاوعى فقال : « ونظر القرآن فوجد شخصيات اسرائيلية مألوفة وشائعة بين العرب • فلم لايحملها مبادىء دعوته ، ويكسب سمعتها والفتها ، فيجعلها تهمس بمبادىء اسلامية « ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب ، يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون •ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه : ماتعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد ـ الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » اشك فى أن هذا الموقف قد حدث بقضه وقضيضه ، فلم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وابنائه حتى يوصى به الآباء الابناء »

فالسيد عبد الحميد يشك فى أن هذا الموقف قد وقع كما ذكره القرآن ، ولم يكن الاسلام قد ظهر أيام ابراهيم وأبنائه حتى يوصى به الآباء الأبناء • وهنا الجهل المركب ، فليس الاسلام فى هذه الآية هو الدين الذى جاء به محمد عليه السلام ، وانما هو التسليم لله بالوحدانية والقدرة والألوهية ، وسياق الآية يدل على ذلك : «قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون » اى قد أسلمنا اليه وحده أمرنا وآمنا به الها واحدا لا شريك له • وهذا الجهل هو الذى جعله يشك فى القرآن ووقوع الحادثة كما رواها الكتاب الكريم الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى لاينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى ، ذلك الكتاب الذى لاريب فيه هدى للمتقين •

وماذا عساى أن أقول فيمن يشك فى آى الذكر الحكيم ووقوع الحادثة كما رواها ؟ ، وعلى أي شىء بنى هذا الشك ، هل عنده ما يثبت خلاف ذلك ؟ لان قصص التوراة كانت معروفة لدى بعض العرب، ولدى قلة منهم ـ فمعظمهم كان وثنيا لايهتم بأمر التوراة والانجيل ـ يجعل القرآن يتحايل على الوجدان العربى ، ويأتى بقصة مشكوك فى وقوعها ليجذب هذا الوجدان اليه ؟؟ فأى خلط وأى زيغ عن جادة العقيدة الصحيحة وقع فيه هذا الشاب المسكين الذى اعمته شهوة التعالم وحب الشهرة فقال ما قال بغير وعى !!

لقد امرنا ان نؤمن بموسى وعيسى وابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب أنبياء ورسلا ، واذا كان اليهود والنصارى قد حرفوا التوراة والانجيل، فليس معنى ذلك أن ما ورد ذكره من اسماء الانبياء غير صحيح ، فالتوراة كما نزلت على موسى والانجيل كما نزل على عيسى من كتب الله ، وذلك قبل التحريف • واذا روى القرآن شيئا مما ورد مثله فى التوراة والانجيل فهذه كلها كتب سماوية تصدر عن الله سبحانه وتعالى • ولم يشك فى موقف نبى من الانبياء يجمع بنيه من حوله حين وفاته ويوصيهم بعبادة الله وحده ، ليتأكد انهم سيحملون رسالته ؟؟ ، ويسرق القرآن الكريم هذه القصة ليبين ان دعوة محمد عليه السلام لعبادة اله واحد ليست بدعا من عنده ، ولكنها دعوة أجمع عليها الانبياء من قبل ، لأنها دعوة الحق •

***

ويقول صاحب المقال : « ويشيع الحنفاء فكرتهم عن بناء ابراهيم واسماعيل للكعبة ، وهنا موقف خصب للقرآن • فليأخذ تلك الفكرة ، وليكسب انصارها الى صفه ، ثم يوحى اليهم بمبادىء دعوته: « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ••• ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم »

فالامر لدى صاحب المقال لا يعدو التقاط القرآن للافكار الشائعة بين العرب يستغلها فى سبيل دعوته ، وليس رسالة سماوية محددة المعالم • وقد اوقعه فى الخطأ هذه المرة ، كما وقع فى اختها من قبل كلمة « واجعلنا مسلمين لك » مع أن ما بعدها يفسرها ويبين المراد منها اى قوله تعالى : « ومن ذريتنا امة مسلمة لك » ، وكأنى بالقرآن الكريم يريد أن يوضح للعرب معنى الاسلام ، وانه تسليم النفس لله تعالى والايمان به الها واحدا لاشريك له• وليست المسألة استغلالا لفكرة شائعة بين العرب، ولكنها حقيقة يذكرها الله تعالى ، ولاشك أن ابراهيم واسماعيل قالا ما قالاه ، اذا كنا نؤمن بالقرآن الكريم كتابا من عند الله ، وما أوردها القرآن الا ليوضح أن الانبياء مجمعون على وحدانيته تعالى

واسلام أنفسهم له ، وأن ابراهيم واسماعيل بشرا بالامة الاسلامية من ذريتهما • وفي هذا حض للعرب على تقبل هذه الدعوة ، وانها ليست فرية افتراها محمد عليه السلام •

***

ويتعرض صاحب المقال بعد ذلك لمسالة الجن على طريقته في الخلط فيقول : « وشاعت بين العرب عقيدة الجن وآمنوا بهـا ايمانا عميقا ، أفلا يكون اعجازا أن يحمل القرآن شخصية جنية بعض مبادىء الدعوة ؟ وقد حدث اذ تخيل نفرا من الجن وأجرى على السنتهم حديثا اسلاميا تضمنته سورة الجن ومنه «وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا » ، ان النظام من المعتزلة ينكر وجـود الجن والزمخشرى يرى أن زعم من يدعى رؤيتهم زور وخرافة ، ومحمد عبـده يفسر الجن بالميكروبات الخفية » •

فالجن في رايه وهم من الاوهام وخرافة واعتقاد فاسد كما ذكر في أول المقـال ، ولكن لأن العرب يعتقدون بوجودها فقد تخيل القرآن نفرا من الجن واجرى على السنتهم حديثا اسـلاميا ، وادعى أنهم اسلموا ، استغلالا لهذه الفكرة الرائجة لدى العرب• فالقرآن يتخيل شـيئا لا وجود له ، ويتحدث عن الجن حديثا لم يجر على السنتهم ، وهذا طعن واضح في القرآن الكريم •

***

والجـــن في رأيي نوعان : نوع ذكره القرآن الكريم ، وهؤلاء يجب علينا أن نؤمن بوجودهم وان لم نرهم ، فقد استاثر الله بعلمهم ، وهم قوى خفية شانهم شأن الملائكة الذين أمرنا أن نؤمن بوجودهم وان لم نرهم ، والانسان بحواسه المحدودة ، وعقله المحـدود لم يحط خبرا بكل أسرار العـالم ، ولم يكشف عن كل أسرار الطبيعة ، ويقول سبنسر في كتابه المبـادىء الاولى ، وهو من أشد الملاحدة : « ان العقل الانساني له طاقة محدودة لايستطيع ان يتجاوزها » •

ويقول صـاحب روح المعاني ج ٢٨ ص ٨٢ : «ونفى الجن كفر صريح » ، ويقصد هذا النوع الذى ورد ذكره في القرآن •

ولم يزعم النبى عليه السلام انه رآهم وانما نص الآية هو : «قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن»، فالله وحده هو الذى أخبره بهذا الخبر ، وعلم الله فوق علم البشر ، وقد صرح القرآن الكريم بان الله خلق الجن كمـا خلق الانس • « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ، « وخلق الجان من مارج من نار » •

والنوع الثانى هو ما كان يتوهمه العربى وهو يضل في الصحراء ، فيستحضر في ذهنـه وهو رابط الجاش معنيين : الهلاك والوحشة ، وكان من الهلاك عند العرب اسم « الغول » الذى يغتـال النفوس ويهلكها ، وأما الوحشة فنشا منهـا بينهم اسم « الجن » وهـو « سراب النفس » الذى يتطلع اليه العربى وقـد أجنته الطبيعة بعـد ظهورها ووضوحهـا وكادت تستتر عنه وتخفى معالمهـا فتهلكه ، وهذا التصور أمر طبيعي • وان لم يتخيل العربى التائه في المضلات الموحشة والاودية المنقطعة ما تخيله من الجن والغيلان لم يكن سليم العقـل معافى الحواس ، بل معتـوها لا يدرك كنه الخطر المحدق به ، ولذلك لم تظهر الجن للعرب الا في المتـاهات حين يعمى عليهم الطريق ، وينفد منهم الزاد ، ويضربون في الارض على غير هدى ، ومن هذه المتاهات : وادى عبقر ، ووادى البقار ، وأبرق الحنان ، وغيرها •

وهذا السراب النفسي الذى يتوهم العربى رؤيته سرعان ما يدرك انه وهـم وانه لم ير في الحقيقة شيئا ، وان تخيل برهة أنه يخاطبه ، وانه يلهمه الشعر وانه يؤنسه في وحشته • ولست ممن يؤمن برؤية هذا النوع ، بل انه في الحقيقة لا وجود له، ولكن لأن العربى كان يسمع عن الجن فخيل اليـه وهو في متاهته أن ما يتراءى له من اوهام نفسه الخائفة هم هؤلاء الجن الذين سمع عنهم ، مع انه لم ير شـيئا الا سراب نفسه وأشباح أوهامه ، ولذلك قال الزمخشرى : ان زعم من يدعى رؤيتهم زور وخرافة ، فهو لم ينف وجودهم وانمـا نفى رؤيتهم •

يستمر صاحب المقال فى تشككه وسيىء تاويله فيذكر قصة موسى مع العبد الذى آتاه الله من لدنه علما، كما وردت فى سورة الكهف، ويزعم ان موسى فى نظره يمثل العربى فى قلقه وتشوقه، وما ذلك العبد الا مثل يضربه القرآن للعرب ليأتوا البيوت من ابوابها ، ولست ادرى على اى شىء بنى هذا الزعم ؟ ولم لا تكون القصة فى نظره كما هى فى نظر كل مسلم صحيحة ؟ وما هـذا التاويل الفاسد الذى جعل من شخص موسى النبى تمثيلا للعربى فى قلقه .

ان الشك بدون اساس منهج فاسد فى البحث، والشك لمجرد الشك طامة كبرى ، وآفة من آفات بعض الناس .

وقد بنى هـذا الزعم على مقدمة خاطئة حيث يقـول : ان العرب قبل انبلاج الاسـلام كانوا يحـاولون كشف الحجب وازالة السـجف تارة بالاستعانة بالجن والشياطين ، واخرى باللجوء الى العرافين والكهان .

وهنا يبدو اعجاز القرآن فيدق على هذه النغمة، والمقدمة لا تقود الى هذه النتيجة التى وصل اليها، والكلف بكشف الحجب ، ومعرفة الغيب طبيعة فى الانسان منذ وجد حتى يومنا هذا ، وليس وقفا على العرب وحـدهم سواء أكانوا فى جاهليتهم أم سواها .

***

واخيرا يتكلم عن قصص الحيوان ، وان العرب فى جاهليتهم عرفوا بعض هـذا القصص ، فيسير القرآن فى هذا الاتجـاه ويجعل بعض الحيوانات تنطق بمبادىء اسـلامية ، فمثلا شخصية الهدهد حيكت حولها الاساطير ، فليختره القرآن وليجعله ينطق فى ثقـة المؤمن ، وحرارة صاحب العقيدة بقوله وهو يخـاطب سليمان : « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » فيامره سليمان بان يلقى اليهم كتابا مستفتحا بما اسـتفتحت به السور القرآنية التى نزلت بعد سـليمان بقرون ، ويامرهم فيه بترك العنـاد ، والاتيان له مسلمين وهذا نصه : بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » .

وأريد أن اقول لكاتب المقال الذى يتعجب من ان كتاب سليمـان ابتدأ بقـوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، ان النقوش اليمنية التى كتبت بلغة معين وسبا وحمير ـ تلك الدول التى بادت قبل الاسلام بقرون ـ والتى لم يكشف عن تاريخها الا فى القرن العشرين ، قد وجد فيها هذا النص الذى يتعجب من وجوده فى كتاب سليمـان ، وذلك ابان العصر الذى تهودت فيه اليمن على زمن ذى نواس الحميرى، وجاء فى بعض النصوص « تبارك اسم الرحمن ذو بالسماء »

وليراجع (كونت روسيني من ص ٤٤ الى ص ٧٠) فسيجد كثيرا من المصطلحات الدينية ، ولما ذكر لفظ «الرحمن» أمام قريش فى قوله تعالى فى سورة الفرقان : « واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن، قالوا وما الرحمن ؟ انسجد لمـا تأمرنا وزادهم نفـورا » ، اذ لم يكونوا يعرفون هـذا اللفظ ، ووروده ، وورود البسـملة فى القرآن من دلائل الاعجاز البينات ، فمحمد عليه السـلام لم يعرف اللغة الحميرية ، ولم تكن تلك الآثار والنقوش قد عرفت بعد .

ثم ان انطاق الهدهد كان امام سليمان وحده ، وقد علمه الله سبحانه منطق الطير كما ذكر القرآن الكريم ، وليست المسالة اتخـاذ الاساطير مطية للدعوة القرآنية ، ولكنها قصة يقصها الله سبحانه على سبيل العظة ، مؤيدا دعوة رسوله بان الانبياء جميعا يؤمنون بوحدانيته ويدعون لتلك الوحدة .

و « بعد » فانى أحسن الظن بصاحب المقـال ، وارى أن قلمه قد جمح وتفكيره قد زاغ عن الصواب وانه ليس سيىء النية يريد أن يشكك فى الدين والقرآن ، وما حدانى لكتابة ما كتبت الا رد الامور الى صوابها ، وارشـاده الى جادة الدين ، هدانا وهداه الله .

بنغازى : عمر الدسوقى

لو يرى المسيح S·C·V·

للدكتور: فؤاد حسنين على

ملايين

الملايين من الدولارات يستغلها الفاتيكان فى مصارف (مورجان) بنيويورك وأكداس السبائك الذهبية رصيد اغنى هيئة فى العالم تملأ خزائن (فورت كنوكس) بالولايات المتحدة . أما راعيها فهو راعيها الكاردينال الامريكى « سبلمان » صاحب الشهرة الذائعة فى حى المال بامريكا اعنى «وول ستريت» .

لو يرى المسيح رصيد الفاتيكان فى مصرف « كردبه سويس » فى جنيف و « همبروز » فى لندن و « بنكا كومرسيالم » و « بنكا دى روما » و « بنكالى سنتو سبيريتو = بنك روح القدس » فى ايطاليا ، هذا الى جانب الأسهم والسندات المستغلة فى مختلف المشروعات الحيوية فى ايطاليا كالماء والغاز والكهرباء ومختلف وسائل المواصلات بما فيها السكك الحديدية والتليفون والمبانى الشاهقة وشركات التامين والفنادق والمؤسسات السياحية « شيت » وغيرها .

لو يرى المسيح متاحف الفاتيكان تضم اشهر واغلى كنوز العالم الفنية لأمثال روفائيل وميخائيل انجلو ، التى لا تقدر بأموال ، والقصور الشاهقة المنثورة لا فى روما فحسب ، بل فى مختلف انحاء

لو يرى المسيح ان الفاتيكان افتتح عام ١٩٤٢ مصرفا تحت ستار ادارة الاعمال الخيرية وهو فى العالم ، التى يعجز الانسان عن حصرها وتقدير قيمتها .

الواقع يقوم بكافة الاعمال المصرفية المعروفة فى عالم المال من ايداع أمانات الى فتح حسابات ومقاصة وتحويل تقود الى الخارج وهذا المصرف لا يخضع لقوانين او رقابة الحكومة الايطالية ويقوم العمل فيه موظفون كهنوتيون ، وان امتاز عن غيره من المصارف فى شىء ففى عملائه الذين هم عادة من اهالى مدينة الفاتيكان ورجال السلك الدبلوماسى المعتمدين لدى دولة الفاتيكان وكبار موظفى الفاتيكان حتى اولئك الذين يقطنون روما واعضاء المجلس الكهنوتى والمدارس والطوائف الدينية الكاثوليكية والمستشفيات والارساليات التبشيرية الكاثوليكية واولئك الذين تربطهم بدولة الفاتيكان اعمال ومصالح خاصة . ويتمتع عملاء هذا المصرف بعدم خضوعهم للقوانين المالية الايطالية فللعميل الحق فى تحويل اى مبلغ الى الخارج .

لو يرى المسيح فضيحة عام ١٩٤٨ اذ استغل بعض كبار موظفى الفاتيكان القوانين المالية الاستثنائية التى اصدرتها الحكومة الايطاليةمحذرة من اخراج العملة من البلاد واستولى المونسنيور (ادواردو ستيبنر شبيكو) على كثير من أموال الايطاليين الراغبين فى تهريبها موهما اصحابها انه سيحولها اليهم مقابل عمولة خاصة ووضع يده عليها . وبلغ جشع رجل الفاتيكان (ادواردو) وحبه للمال والحرص على ارضاء نزواته الخاصة انهبعثر الملايين من النقود فى سبيل انتاج فيلم يصور حياة القديس فرنسيسكو . ولما انكشفت حيلته شكاه

القوم الى البابا فلم يجد بدا من تقديمه لمحكمة الفاتيكان المعروفة باسم « الدائرة المقدسة » التى قضت بتجريده من الكهنوتية وزجت به فى سجن الفاتيكان المعروف باسم برج الرياح الاربع . لكن اللص استطاع بمساعدة بعض رجال الفاتيكان الهرب واختبأ فى روما عند ارملة كانت له بها صلة فاكتشف رجال الامن مخباه وقدموه الى المحكمة الايطالية التى قضت بسجنه . وبعد زمن قصير من تجريده من وظيفته الكهنوتيه عاد الى الكنيسة ثانية !!

لو يرى المسيح ان للبابا جيشا يحمل السلاح ويرتدى اجمل الملابس واغلاها الى جانب الحرس السويسرى وان هذا الجيش يتكون من ثلاثة فيالق : فيلق النبلاء ، وفيلق الشرف ، وفيلق الامن اما فيلق النبلاء فهو كما يدل عليه اسمه من النبلاء الارستوقراطيين فقط كما يشترط فى الفرد ان يكون منحدرا من اسرة نبيلة قديمة جدا قد مضى على نبلها زمن لا يقل عن قرن كما يجب ان يكون دخل الفرد يكفيه لان يعيش فى روما عيشة هنيئة تتفق ومكانة الفاتيكان . وحتى عام ١٩٢٩ كان يختار نبلاء هذا الفيلق من اقاليم (لاتيوم) و (اومبرين) وغيرهما من الولايات التى كانت تتكون منها قديما دولة الفاتيكان .

اما قائد هذا الفليق فيختاره البابا من بين امراء روما كما ان جميع افراده من الضباط ولا يوجد بينهم جنود أو صف ضباط . ومن بين أفراد الفيلق الآن نجد كثيرين من اكبر الأسر الارستوقراطية الايطالية مثل أسرة (بربريني) و (دل دراجو) و (تيودولى) و (بتريسى) و .. وهذا الفيلق هو أرقى فيالق الجيش البابوى ولايقوم بالعرض الا وقت حضور البابا . وقد نشأ أصلا عن فيلقين قديمين : فيلق (جوارديا دى كافالا...، وجوارديا دبل لنسا..) وكان أفراد هذين الفيلقين من النبلاء يرافقون البابا فى المسيرة والاسفار حيث يركبون الجياد المطهمة . ولما استولى الفرنسيون عام ١٧٩٨ على روما سرحوا هذين الفيلقين واستمر الحال كذلك حتى تمكن البابا (بيوس) السابع عام ١٨٠١ من تشكيل فيلق النبلاء الحالى ثانية وعلمه ابيض وبه رنك البابا الحاكم ويقوم بالخدمة اسبوعا كل شهر ولا يتزوج الفرد فيه الا باذن من القائد .

اما فيلق الشرف فهو اكبر الفيالق البابوية وهو حارس القصر كما ان افراده من مختلف طبقات الشعب الايطالى اذ نجد الاستاذ الى جوار الاسكاف والجزار والعامل والفلاح . واثناء مسير البابا التى يحمل فيه على محفة فوقها كرسى يسير قائد هذا الفيلق على يسارها .

وفيلق الامن هو الذى يتولى حفظ النظام واحترام قوانين الفاتيكان وتنفيذها والتفتيش والقاء القبض والعمل على مراعاة نظام المرور .

واذا تركنا الفاتيكان فى ايطاليا وتجولنا فى الخارج وجدنا مالا يقل عن خمسين منظمة كاثوليكية دولية تخضع لقيادة عامة مركزها فى الخارج لا فى الفاتيكان وهى تعنى قبل كل شىء باسترقاق شباب البلاد التى تعمل فيها وتنشئته تنشئة كاثوليكية عسكرية لا تدين بالولاء لبلاده بل للفاتيكان وهم يكونون اخطر قوة هدامة عرفها العالم فى تاريخه الطويل .

لو يرى المسيح ان المملكة السماوية التى جاء لاقامتها وتحمل فى سبيلها ما تحمل قد تحولت الى مملكة ارضية يحكمها حاكم مطلق ويقيم علاقات دبلوماسية كثيرة من الحكام فيمثل الفاتيكان لدى بعض الدول ممثلين اما بدرجة (نونتيوس) اى سفير أو (انتر نونتيوس) أى وزير مفوض كما ان له مندوبين آخرين للاشراف على الكنائس والمنظمات فللفاتيكان سفراء فى :

ارجنتين . ارلندة . اسبانيا . اكوادور . المانيا : اروجواى . ايطاليا . بارجواى . برازيل . برتغال . بلجيكا . بنما . بوليفيا . بيرو . جواتيمالا . سان دومينجو . سلفادور . سويسرا .

شيلي . فرنسا . فنزويلا . فيلبين . كوبا . كوستاريكا . كولومبيا . لبنان . لوكسمبرج . النمسا . نيكارجوا . هايتي . هولنده . هوندوراس .

ويمثل الفاتيكان وزراء مفوضون (انترنونتيوس) فى البلاد الآتية :

اليوبيا . اندونيسيا . ايران . باكستان . سوريا . فورموزا . ليبريا . مصر . الهند . اليابان . وغير السفراء والوزراء المفوضين نجد ايضا القاصد الرسولي وهو لا يخضع لوزراء خارجية الفاتيكان بل للبابا ومجلس الكرادلة . وليست لهذا القاصد صفة دبلوماسية سواء فى الفاتيكان أو فى الدولة المعين فيها ومهمة هذا القاصد تنحصر فى مراقبة الكنائس الشرقية عامة والتبشير بالكاثوليكية والاسهام فى توجيه المنظمات الكاثوليكية والقاصد الرسولي يمثل البابا لدى رؤساء الكنائس الكاثوليكية فى البلد الذى يعمل فيه . ويرفع القاصد تقريره مباشرة الى البابا ونحن نجد اولئك المندوبين فى الدول الآتية :

انجلترا . الولايات المتحدة الامريكية . كندا . المكسيك .

اما مندوبو البابا فى اسرائيل . تركيا . العراق . اليونان . فيخضعون لمجلس الكنيسة الشرقية الكاثوليكية بخلاف اولئك الذين نجدهم فى استراليا وزيلنده الجديدة وداكار وغيرها فى الشرق الأقصى ويهتمون بالتبشير .

فنحن نرى ان دولا كثيرة مسيحية لا تقوم بينها وبين الفاتيكان علاقات دبلوماسية وفى طليعة هذه الدول الولايات المتحدة الامريكية لانها تدرك تماما مدى خطورة الكنيسة الكاثوليكية وحرصها على القضاء على سائر العقائد الاخرى فهى لا تطيق ملة غيرها وفى سبيل تحقيق هذا الهدف تسلك مختلف الطرق والوسائل ، فالغاية تبرر الواسطة . وحدث ابان الحرب العالمية الثانية ان الرئيس روزفلت اراد ان يستفيد من الفاتيكان بالرغم من البغض الشديد الذى يكنه له الشعب الامريكى فارسل مندوبا خاصا له يدعى « ميرون تيلور » فتفاهم مع البابا بيوس الثانى عشر على ان يستغل الفاتيكان نفوذه لمعاونة الحلفاء لكسب الحرب مقابل ان تعلن دولة الفاتيكان مدينة مفتوحة وبذلك جنبها البابا ويلات الحرب كما اسهم اسهاما جبارا فى هزيمة المحور . والمؤرخ للحرب العالمية الثانية يعلم هذا جيدا .

ولما تم النصر للحلفاء أمل البابا أن تقوم علاقات دبلوماسية بين الفاتيكان والولايات المتحدة، لكن امله هذا ذهب ادراج الرياح فقد هب الشعب الامريكى فى وجه روزفلت . وخشى خلفه ترومان وايزنهاور حتى التفكير فى هذا الموضوع وذهبت عداوة الشعب الامريكى للفاتيكان ودسائسه بعيدا فطالب وزارة الخارجية بسحب الجنسية الامريكية من جميع الكرادلة الامريكيين الذين اشتركوا فى انتخابات البابا عام ١٩٥٨ اعنى البابا يوحنا الثالث والعشرين اذ أن دستور الولايات المتحدة ينص صراحة على حرمان المواطنين من الاشتراك فى الانتخابات الاجنبية .

واذا تركنا الولايات المتحدة الى انجلترا وجدنا وضعا جديدا . فانجلترا لها وزيرها المفوض فى الفاتيكان ومعترف به . لكن القاصد الرسولي فى لندن لا صفة دبلوماسية له وذلك بحجة ان ملكة انجلترا هى رئيسة الكنيسة الانجليكانية وبصفتها هذه لا تستطيع قبول اوراق اعتماد رئيس دينى منافس لكنيستها .

لو يرى المسيح ان نائبه على الأرض هو آخر حاكم مطلق فى الوجود فهو رئيس دولة الفاتيكان وله من الحقوق والامتيازات مالا يتمتع به رئيس دولة اخرى ، الى جانب انه الرئيس الدينى الأعلى (سوموس بونتيفكس) لنحو خمسمائة مليون كاثوليكي ينتشرون فى مختلف اجزاء المعمورة .

ونائب السيد المسيح على الارض يأبى الا ان

يلقب بأكثر من لقب في ذلك شأن سائر رؤساء الدول الاخرى فهو :

نائب يسوع المسيح . خليفة الرسل . الرئيس للدينى الاعلى للكنيسة العالمية . بطريرك الغرب . كبير اساقفة ايطاليا (بريماس ايطاليا) . كبير اساقفة عاصمة الاقليم الرومانى . اسقف روما رئيس دولة الفاتيكان .

ويلقب احيانا بلقب « والد الأمراء والملوك » ويطلق عليه سكان الفاتيكان وروما «البابا» ويخاطبه محدثه بعبارة « الأب المقدس » أو « قداستكم » .

وهو كحاكم مطلق يجمع فى يديه السلطات القضائية والتشريعية والادارية والمحافظة على التقاليد والاخلاق اعنى (ماجستيرو) .

وللبابا مرصدان : أحدهما فى الفاتيكان والآخر فى مصيفه المعروف باسم (كاستيل جندولفو) فضلا عن مطبعته العظيمة التى تصدر الى جانب الكتب والمطبوعات اربع صحف : اوسيرفاتوره رومانو واكتو ابوستليكيه سديس واوسير فاتوره دلا دومنيكا ، ثم مجلة : اكليزيا : اما المكتبة فغنية جدا باوراق البردى المصرى فضلا عن انها تحتوى على قرابة مليونى مجلد .

لو يرى المسيح راهبة فى روما ترتدى معطفا من الفراء الثمين وتجمل وجهها بمستحضرات (اليزابيث اردن) وتصفف شعرها وتزور معارض الازياء وترتدى لكل وقت ومناسبة ما يروق لها انها الراهبة (ماريا دومنيك راماكيوتى) لا تقيم كغيرها من الراهبات فى دير بل فى مدينة مدرسية للعذارى تقع فى (فيا تريونفال) خارج روما والراهبة الحسناء ماريا تعنى قبل كل شىء بتعليم الفتاة تعليما حرا بعيدا عن الحشمة والوقار فالفتاة يجب ان تكون الفتاة الارستوقراطية الحديثة لذلك فهى تتعلم الانجليزية والفرنسية والعزف على البيان والرسم واعداد الكوكتيل ومحادثة الزوار و ... ولكى تتمكن الراهبة من تأدية وظيفتها على الوجه الاكمل طلبت ان تكون المثل الاعلى للفتاة الحديثة فاباح لها البابا بيوس الثانى عشر ما ارادت وهى تتنقل معهن فى المسارح والمراقص وبعض الاوساط الأخرى وهى والعذارى فى ابهى الملابس والزينة .

لو يرى المسيح كل ذلك ما رضى به ولتبرأ منه.

يا رئيس دولة الفاتيكان ، لا تقدرون أن تخدموا الله والمال لذلك اقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون اليست الحياة أفضل من الطعام والجسد افضل من اللباس » هكذا جاء فى انجيل متى ص ٦ فكيف توفقون بين مدلول هذه الآيات الكريمة وبين ثرائكم الفاحش .. ان احدا لا يجهل ان الفاتيكان اغنى هيئة فى العالم .

يا رئيس الكنيسة الكاثوليكية العالمية اقرأوا معى متى ١٢ ى ٢٣ – ٢٤ « لأن من الثمر تعرف الشجرة يا اولاد الأفاعى كيف تقدرون ان تتكلموا بالصالحات وانتم اشرار فانه من فضلة القلب يتكلم الفم » .

يا خليفة الرسل لا يليق بك ان تقحم الكنيسة الكاثوليكية فى السياسة فتخلق فى كل بلد مسيحى حزبك الديمقراطى المسيحى ليصل الى الحكم فيصرف أمور الدولة كما تهوى وتشتهى ومن ثم تحاول تحت ستار توحيد المذاهب جمع الكنائس المختلفة تحت لوائك لتسخرها لخدمة الاستعمار والمستعمرين ليزداد الفاتيكان ثروة على ثرائه ولتعاود محاكم التفتيش سيرتها الوحشية البغيضة. استقبل تشومبى وامثاله وادفع المرتزقة من ابناء كنيستك فى جنوب وادى النيل الى الثورة والتمرد لتستطيع ان تبعث لك فى قلب أفريقيا دولة كاثوليكية جديدة فهذا باطل الأباطيل .

« د. فؤاد حسنين على »

الفلاح في الشعر العربي تصوير

بقلم : محمد عبد الغني حسن

- ٣ -

قد يكون من الانصاف للحق أن لا يفوتنا ذكر الشاعر « محمد عبد المعطي الهمشري » ونحن نلم المامة قصيرة بالشعراء الذين صوروا الريف العربي المصري ، سواء أكانت صورهم الشعرية مقرونة بتصوير شقاء الفلاح أم عارية عنه . واذا كنا أشرنا قبلا الى بعض شعراء صوروا الريف بمناظره والقرية بمجالي الطبيعة فيها على أثر زيارات عابرة لم يطيلوا فيها المقام ، ولم يمدوا فيهـا الملازمة والملاحظة ، فان من الوفاء أن نشير الى الشاعر الهمشري الذي جعل من تصوير الريف المصري وابراز ملامح الجمال فيه رسالة له ، بل جعله جزءا هاما من عمله في مجلة « التعاون » التي كانت تصدرها الحكومة لانشاء وعي تعاوني زراعي بين الفلاحين ، وكان يرأس تحريرها الدكتور الصحافي الأديب محمد أبو طايله

والحق أن الشاعر محمد عبد المعطي الهمشري قد أحال وظيفة في قسم التعاون وفي مجلة التعاون الى ندوة شعرية كان هو شاعرها الأول . فهو يصور الريف والفلاح تصويرا عن قرب ، بما أتيح له من زيارات دائمة متلاحقة للريف في صعيد مصر وفي دلتاها . وهو يفتح عينيه وأذنيه وحواسه على كل نامة في القرية ، حتى ليكاد يجد في صرير الجنادب ونقيق الضفادع موسيقى تطرب الآذان . وهو يشم بأنف حساس شديد الحساسية رائحة الكلأ والعشب الهشيم المذرو مع الرياح ، والثرى المضمخ بشذا ريفي لا تجده في المدينة الصاخبة ، وهو هنا يذكرنا بالأديب الأمريكي « هنري دافيد ثورو » الذي كان يميز بين الازهار في ظلمة الليل البهيم بروائحهـا لا بأشكالها ...

لقد أحب الهمشري كل شيء في الريف ، وتعاطف معه وأنس به ، حتى « الجاموسة » التي يضرب بها الناس المثل في ضخامة الهيكل ، وبطء الحركة ، وسواد الجلد يتغزل فيهـا الهمشري غزلا رقيقا ، ويصوغ لها أغنية على لسان فلاح يخاطبها قائلا :

قد جبت كل بقاع القطر مغتربا
من ثغر دمياط حتى سفح أسوان
على ارى شبهـا يحكيك في دعة
أو خفة أو جمال منك فتان !!

***

يا سحر خطوك اذ تمشين تابعة
في الصبح أمك نحو الحقل في مرح
تتلو عليك فتاة الريف غنوتها
وتعبر القنوات الخضر في فرح ...

وهكذا يمضي الهمشري - رحمه الله - في غزله بالجاموسة التي ما كانت - ولن تكون - موضعا لغزل ! ثم يناديها بهتافة الصبح ! فيجعل من نعيرها هتافا ، ومن بلادتهـا خفة وفتنة ! ولعل هذا الحب والغزل العجيب كان أول الأمر مجانة عند الهمشري ثم استحال آخر الأمر فصار شغلا شاغلا ! وذلك بحكم الرسالة الريفية التي نصب الشاعر نفسه لها ، وكلف بها ..

وقد يكون الهمشري متأثرا في صوره الريفية القروية بواحد أو اكثر من شعراء الانجليز والامريكان فاذا كان « ثورو » الأمريكي يصف الجرادة الصغيرة في الحقل وهي تنط ، فلماذا لا يصور الهمشري الفراش الأصفر وهو يحوم في الحقول قائلا :

يا طائرا لا يكف هل انت نجم يرف ؟
ام انت خطفة نور ام انت قلب يخف ؟

وعلى كثرة ما صاحب الشاعر الهمشرى الفلاحين فى الريف نراه انشغل بجمال الطبيعة من حولهم ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم عن تصوير شقائهم او الاحساس بالمستوى الاجتماعى الهابط الذى وصلوا اليه . لقد أغمض عينيه عن مناظر بؤسهم ، وشغل باغانى الرعاة الذين ، يغنون الصبح فى بهج » . ولعل زميله فى تحرير مجلة التعاون ، الشاعر محمد مصطفى حمام كان أكثر منه احساسا بالمشكلة وأصدق تصويرا لها . فقد رأينا قصيدة حوارية بين مراب وفلاح منكوب ؛ فالمرابى لا يرق قلبه لحالة الفلاح الذى اغرقه الدين ، وأضناه الفقر ، وعراه العرى .. والفلاح يصرخ مستغيثا :

يا ولاة الأمر هل من رحمة
ارهفوا للمشتكين المسمعا
انهضوا الفلاح من كبوته
وانيلوه المكان الأرفعا
كيف ترضون لبانى مجدكم
عيشة ضنكا ، وفقرا مدقعا ؟
شكر الفلاح ما اسلفتمو
من جميل ، فعسى أن يتبعا !

***

ولعل البيت الاخير هنا يصور لنا حالة «التقية» التى كان يلجأ اليها الشاكون من بؤس الفلاح ، حتى لا يؤول موقفهم تأويلا ما كان ليروق فى عيون ولاة الأمور يومذاك ! ولعل هذا يفسر لنا صمت الشاعر الهمشرى عن الافصاح بسوء حالة الفلاح ، فقد كان بحكم وظيفته الرسمية فى التعاون أنأى من ان يصرح برأى ، أو يجهر بشعر فى هذا السبيل .

واذا كان بعض شعرائنا المحدثين والمعاصرين قد أحبوا الريف مجتلى للجمال ، ومسرحا للنواظر ، ومرتعا أنيقا للعين ، فان منهم من أحبوا الريف لتملك الأرض ، ولاستثمار الغلة ، ولاستدرار الرزق ... فهذا الشاعر الكاتب **عبد الله فكرى** - وزير المعارف فى الثورة العرابية - يتمنى أن تكون له أرض يزرعها ، ويصارح صديقه الأديب الشاعر الشيخ على الليثى بهذه الأمنية قائلا :

ارجو من الله لى طينا اعيش به
فى أرض مصر على حال السلاطين
ما زلت - ما عشت - لى فى الطين كل هوى
وانما خلق الانسان من طين !

وهذا شاعر النيل **محمد حافظ ابراهيم** يتحرق فى سنة ١٩٠٤ الى ان يكون له من الأرض نصف فدان فى ثرى البلاد . فيقول فى مصر :

جرى بها الخصب ، حتى انبتت ذهبا
ياليت لى فى ثراها نصف فدان !

وهذه الأمنية لشاعر ضابط مثل حافظ ابراهيم تذكرنا بامنية أخرى تحققت بالفعل لشاعر ضابط من شعرائنا المحدثين هو الشاعر « **محمد توفيق على** » الذى انضم الى قافلة المنسيين من رجالنا ، مع ما كان له من مكانة فى الشعر جعلت الشاعر حافظ ابراهيم يخاطبه قائلا :

شعرك هذا كله طيب
فقل وزدنا يا أبا الطيب !
هذا هو الشعر فانعم به
من معجب جزل ومن مطرب ..

***

ومن عجائب الأقدار أن هذا الشاعر الضابط صاحب السيف والقلم ، قد هجر السيف والقلم فى آخرة من أيامه ، واتجه الى الأرض يزرعها ، والى المحراث يمسكه بيديه وعبر عن ذلك بقصيدة ميمية اشتهرت فى حينها ، يقول فيها :

وخير ما يقتنى المصرى مزرعة
يشقى بها الفاس والمحراث والنعم
لله بهجة حقل ما يماثلها
فى حسنها إلسيف مصقولا عليه دم !
ويا سطورا بمحراثى ادبجها
لا يستقل بها القرطاس والقلم
تفتح الزهر منها عن مباسمه
وراح يرتع فيها مقلة وفم ..
هذا هو الخير معسولا موارده
هذا هو العيش الا انه حلم !!

***

وعجيب جدا شأن شعرائنا الذين احسنوا وصف الريف والقرية بما فيهما من صادح وباغم ، ومن ماء وثرى ، ومن حيوان وطير ، ومن كوخ يبص منه شعاع خافت من النور ، ولكنهم لم يحسنوا وصف

ساكن هذا الكوخ ، ولا فالح هذا الثرى . بل لم يلتفت اليه بعضهم ـ اطلاقا ـ التفاتة تدل على المشاركة الوجدانية في سوء حاله . ولم يكن الهمشري هو الشاعر الوحيد الذى أطال في وصف صور الريف والقرية ، ولكنه قصر في وصف حال الفلاح ، فهناك شاعر عاصره معاصرة قريبة، ووصف الطبيعة الريفية كما وصفها الهمشري ، ولكنه « استغرق » في تصوير الطبيعة فالهته عن تصوير الفلاح . وهذا الشاعر هو « **محمد السيد شحاته** » الذى كان يلقب بشاعر البرارى ، والذى نشرت صحيفة الأهرام أكثر مقطعاته في الريف وبيئته على فترات متعاقبة امتدت الى ما بعد سنة ١٩٤٢ .

ولقد قدم « أنطون الجميل » ديوان هذا الشاعر الريفى الأصيل بمقدمة تحليلية جاء فيها : (كان الريف المصرى ينشد شاعرا مطبوعا يتغنى بجماله، ونعتقد أنه وجد « حسانه » في شاعر البرارى) .

وعلى حين يزدحم ديوان « بين أحضان الطبيعة» لشاعر البرارى بقصائد ومقطعات جميلة في الغروب والشفق ، وزهور الريف ، والقرية ، والمحراث ، والساقية ، والقطن ، والصفصافة ، وسنبلة القمح وما اليها من مجالى الطبيعة في الريف ـ فانك لا تجد بين هذا المزدحم من الصور الطبيعية الفاتنة الا مقطعة واحدة من أربعة أبيات بعنوان « الفلاح » يجعل فيها الشاعر نجوم الليل سهرانة في الاعالى تسائلنا كيف نعامل الفلاح ، وقد شاركها السؤال الندى السائل فوق الازهار . وعلى الرغم مما منى به الفلاح من نسيان له فان بنانه لا يزال يجمل وجه الأرض .. :

لقد سهرت من فوقنا أنجم الدجى
لتنظر تحت الليل كيف نعامله
وسال الندى فوق الزهور مسائلا
متى ذلك العانى تسوى مسائله ؟
نسوه .. ولكن لا يزال بنانه
يجمل وجه الارض ثم يجامله
ففى فاسه للريف مثل براعتى
فهذى تغذيه ، وهذى تغازله !!

وهذا « الاستغراق » في الوصف الطبيعى للريف مسئول الى حد كبير عن ذلك الاغفال لسكان الريف وأهله من الفلاحين ، مع أن عدالة القسمة بين الاحساس بالارض والاحساس بمن على الارض كانت تقتضى وقفة ـ قصيرة أو طويلة ـ من أمثال هؤلاء الشعراء الذين لم يمر « الفلاح » ببالهم ، على حين تجذب انتباههم فراشة حائمة ، أو شاة نائمة .

ولا أدرى كيف ينفصل الاحساس بالمكان عن الاحساس بالسكان عند شعرائنا الذين نسوا الفلاح أو ذكروه قليلا أو نادرا في شعرهم ؟

وهل تستكمل اللوحة الشعرية الريفية كل مقوماتها اذا اشتملت على الساقية ، والقناة ، والشجرة ، والبقرة ، والمحراث ، والشادوف ، والكلب النابح والطير الصادح ، ولم يكن فيها للفلاح أثر ، ولا خبر ؟

ان لفتة واحدة من شاعر اتصل بالريف اتصالا عابرا أو دائما الى ذلك الفلاح الصابر الكادح ، قد يكون فيها من جميل المشاركة ما هو خليق بمثل ذلك الانسان المسكين ، واذا كان الجمال في الريف يأسر وينبه ويجذب ، فان الألم والشقاء عند فلاح الريف كان حريا أن يكون أكثر أسرا وتنبيها . ولعل هذا الاغفال لشأن فلاحنا القانع الراضى كان أثرا من آثار النظرة التى كان ينظر بها « الاتراك » اليه . ولهذا كان جميلا من الشاعر **أحمد الكاشف** ـ وهو تركى الاصل ـ أن يتنبه في سنة ١٩١٢ الى حالة الفلاح المصرى ، وأن ينبه اليه أذهان ولاة الأمور في مصر في ذلك الزمان ، وأن يدل قومه الاتراك على أن احتقار الفلاح هو عمل مجانب للصواب ، فيقول من قصيدة بعنوان « الفلاح المصرى » : ـ

اذا استبقيت في الدنيا حبيبا
فخير أحبتى فلاح مصرا
كريم يملأ الوادى ثراء
ولا يلقى سوى الاجحاف أجرا
فقير ما أراه شكا افتقارا
ولو يجزى على تعب لاثرى
وكان بعيشة الاسرى قنوعا
فكيف وقد غدا في الملك حرا ؟
فمحراث يشق الارض عندى
ويخرج من ثراها الخصب تبرا
كسيف في يد الجندى لاقى
به جيشا وحصنا مشمخرا

فلو عرف الصواب الترك قومي
لما احتقروا له عملا وقدرا ..

***

ويمثل لنا الشاعر أحمد الكاشف ذلك التوازن بين حسن المكان وحسن السكان فيما يتصل بالريف وأهله ، فله في الريف بعض صور طبيعية جميلة ، ولكنها ـ في جملتها ـ لم تنسه واجبه ـ شاعرا حساسا ـ نحو أهله المساكين المظلومين . ومن صوره الريفية تصويره للفلاحة حاملة الجرة قائلا :

حاملة الجرة تمشي بهـــا
منيرة الطلعة وســط الزحام
كراية حمــراء معقــودة
لقــائد صــار بجيش لهام
لولا اعتدال العنق من تحتها
وهزة العطف بها والقوام
ارقتهــا من ثقلها مشــفقا
ولو شكا أهلك حر الاوام ..

وهذه الصورة الغزلة تذكرنا بصــورة أخرى لشاعر البراري يصور بها في ديوانه «نجوم ورجوم» ريفية حسناء صعدت على شجرة توت لتجني بعض ثمراتها ، فيقول :

صــعدت ترى الأغصان غصن قوامها
ما أشبه القــامات بالأغصان !
وحنت على بعض الغصون فخلتها
نشوانة مالت على نشــوان !
مدت أناملها فقلت لصــاحبي :
أرأيت كيف تقــابل الثمران ؟
تــوت بعنــاب الانامل يجتنى
ما أرخص المجنى ، وأغلى الجاني !

***

واذا كان الشاعر أحمد الكاشف قد لفتت نظره « حاملة الجرة » منذ أكثر من خمسين عاما ، فان الشاعر « **محمود حسن اسماعيل** » قد تنبه لهــذه الصورة الريفية الفاتنة فجلاها لنا في قصــيدته عروس النيل ، أو حاملة الجرة . واذا كان محمود حسن اسماعيل قد استوحى صورته هذه من التمثال المشهور للفنان الراحل المثال محمود مختار فانه قد استكمل عناصر الصورة بما أفاض عليها من مرئياته الحية في الريف حين تسير الفلاحة الى الجدول الدافق كما يسير الكرى في مقلة العاشق ، وهي وئيدة الخطوات تدب على الارض دبيب السارق الذي يطأ الثرى مترفقا ، وشتان بين الدبيبين .. فهي رفيقة الخطا من التيه ، والسارق مترفق الخطــوات من التوجس والحذر :

ســارت الى جدولها الدافق
سير الكرى في مقلة العاشق
وانية الخطو ... كأن الثرى
يحمل منها خطوة الســارق
شاهدتها والشمس في أفقها
تحكي فؤاد الثــائر الحانق
والشاطيء المسحور من روعة
يسبح في موكبــه الفــارق

***

على أن الشاعر « **فوزي العنتيل** » لم يفتــه أن يرسم لنا لوحة لحاملة الجرة ، وهي تتهادى على ضفة حفها طرى النبات وغض الشجر ، ومن حولهــا الفاتنات الملاح على شفة النبع ، وكأنها نسمة رفرفت على صفحة الماء .. وقت السحر . وتراها عند فوزي العنتيل أكثر فتنة واغراء وانتفاضــا بالشباب والحيوية مما هي عند أحمد الكاشف ومحمود حسن اسماعيل . وما ظنك بهذه الفلاحة التي تحمل الجرة:

وفي صدرهــا فتنــة عربدت
كمــا عصفت موجــة تنحسر
ويهتز مرتعشــا نهدهــا
يدمدم في نشــوة منتصر !
وينفر محتدمــا صــارخا
من الظمأ الخالد المســتعر !
فتحسبه من لهيب الشباب
وشوق الصــبا موشكا أن يفر !

« **محمد عبد الغني حسن** »

دم اليهود ... وقداسة الأناجيل

بقلم : عبد الجليل شلبي

ليت **البابا بولس السادس** واعضاء مؤتمر الفاتيكان يدركون مدى ماجنوا على المسيحية وحطوا من كرامة الأناجيل !!

لم يكن أحد يصدق ولا بشيء من الصعوبة ان الخديعة ستنال من هذا المؤتمر كل هذا المنال حتى يصدر هذا القرار الخطير ، قرار تبرئة اليهود من دم المسيح وان لا عداوة بينهم وبين المسيحيين •

لقد بذل اليهود من قبل مجهودات عنيفة متكررة للحصول على ماهو دون هذا القرار • وكانوا يتمنون أن يظفروا ولو بكلمة عابرة أو تصريح مجمل من أحد البابوات السابقين • وقد باءت هذه المجهودات كلها بالفشل ولم يستمع اليهم أحد من رجال الدين المسيحي • فضلا عن البابا • لأن سلطان الدين وقداسة الأناجيل وأمانة المنصب كانت أقوى على نفوس هؤلاء من سلطان المادة واغراء المال •

***

برزت هذه الفكرة في ذهن اليهود الصهيونيين منذ نصف قرن تقريبا • برزت مع بروز المطامع ونضج الآمال في اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود• ورأى دعاة الصهيونية أنها تحقق لهم أكثر من غرض وتجنى فوائد متعددة مزدوجة • فهي اذ تفرق بين صفوف المسيحيين تفرق بين صفوف العرب وتقلل من أعداء اليهود في الشرق وتجلب لهم أنصارا أكثر من الغرب •

وأول ما يبدو في هذه المسألة أنها مهادنة للمسيحيين على حساب المسلمين ، واحراج للمسلمين بمسألة يتضارب فيها دينهم وسياستهم • فالاسلام لا يقر صلب المسيح أصلا ـ لا بيد اليهود ولا بيد الرومان • فالمسلمون فيما توقع الصهيونيون لابد أن يسكتوا أمام هذه المسألة ـ لانهم ان أقروا صلب المسيح فقد خالفوا دينهم وان نفوها فقد وافقوا اليهود •

لكن الامر لا يقف عند مجرد الصلب وتنفيذ الاعدام ، فهناك سلسلة من العداوة المستمرة والنضال العنيف دامت بين الفريقين منذ قيام المسيح ـ عليه السلام بدعوته ـ ولم تنته بانتهاء حياته على الارض ـ وهذا ما يتفق فيه المسلمون والمسيحيون وغيرهما ، لانها أحداث تاريخية أكبر من أن يجادل فيها انسان • ولقد كانت الاناجيل الاربعة التى أقرتها الكنائس بكل طوائفها تجعل صلب المسيح نهاية هذا الصراع المرير ، كما أن القرآن أيضا يثبت مظاهر هذا العداء في أكثر من سورة وأكثر من مكان •

ويدل القرآن والاناجيل جميعا على أن اليهود كانوا قد حرفوا التوراة وتحجرت العقيدة في نفوسهم من ناحية وهانت مكانة الدين وتعاليمه من ناحية أخرى ، فهم يحرمون التوافه الشكلية التى ليست بذات قيمة ويستحلون فيما بينهم ارتكاب الموبقات •

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه ٠٠ فاختلف الاحزاب من بينهم» (الزخرف : آيتا ٦٣ و ٦٤) « ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ٠٠ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل » (آل عمران الآية ٧١) « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (البقرة الآية ٧٥) « لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا ٠٠ كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون » (المائدة الآية ٧٠) •

والقرآن يسجل عليهم الجهل والاتجار بالدين معا اذ يقول « ومنهم أميون لايعلمون الكتاب الا أماني وان هم الا يظنون · فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » (البقرة آيتا ٧٧ ، ٧٨) ·

ولا تكاد تخلو سورة من مطولات القرآن من تعداد انحرافات الاسرائيليين وعدائهم للانبياء والمصلحين خصوصا تعاليم محمد والمسيح ·

وتفصل الاناجيل بعض ما أجمل القرآن ، فهي تصور ان ما عمد اليه اليهود منذ قيام المسيح بدعوته انما هو الايقاع بينه وبين حكومة القيصر · وصرف الناس عنه كيلا يسمعوه ·

وقف رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ مع الشعب الذي يستمع الى المسيح وهو يخطب فيهم فراعهم انصات الناس وأزعجهم ما يقوله ·· فقالوا : « قل لنا بأي سلطان تفعل هذا ؟ أو من هو الذي أعطاك هذا السلطان ؟ » وكان الغرض صرفه عن درسه وصرف الناس عنه لانه ان قال ان الله أمرني بهذا طالبوه بالمعجزة وفتحوا بابا طويلا للجدل وان قال هو من عندي أصبح لاقيمة له وهان في نفوس الناس لكنه في لباقته وشدة ذكائه كان يتخلص من احراجهم بسهولة ويوقعهم هم في شديد الاحراج · لقد كفروا من قبل بمعجزاته وقالوا انها سحر فما جدواها في هذا الموقف ؟

قال المسيح « وأنا أيضا أسألكم كلمة واحدة فقولوا لي : أمعمودية يوحنا من السماء كانت أم من الناس ؟ فتآمروا فيما بينهم قائلين ان قلنا من السماء يقول فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وان قلنا من الناس فجميع الشعب يرجموننا لأنهم واثقون أن يوحنا نبي ·· الخ (انظر لوقا ٢٠/ ١ـ٧) فأوقعهم في الحيرة واستمر في خطبته ·

« راقبوه وأرسلوا جواسيس يتراءون أنهم أبرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالي وسلطانه فسألوه قائلين يامعلم انك بالاستقامة تتكلم ·· أيجوز لنا أن نعطي جزية لقيصر أم لا ؟ فشعر بمكرهم فقال : لماذا تجربونني · أروني دينارا ·· لمن الصورة والكتابة ؟ فأجابوا وقالوا : لقيصر ، فقال لهم : اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ·· فلم يقدروا أن يمسكوا بكلمة قدام الشعب وتعجبوا من جوابه ·· وسكتوا (لوقا ٢٠ وما بعدها) ·

وانظر الى قتلة الانبياء كيف يحاسبون على توافه الامور ؟ ··

« ·· ذهب يسوع يوم السبت بين الزروع فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون فالفريسيون لما نظروا قالوا هوذا تلاميذك يفعلون ما لايحل في السبت ·· ؟

فقال لهم : أما قرأتم مافعله داود حين جاع هو والذين معه · كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة (متى ١٢/ ١ـ٤)

حقا ان المسيح كما ذكر القرآن جاء ليحل لقومه بعض الذي حرم عليهم ·

وانظر الى هذه المؤاخذة الاخرى ··

« ·· جاء الى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين : لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ ·· فانهم لايغسلون أيديهم حين يأكلون خبزا ؟!! » ·

أهذا مبلغ ما ارتكب الحواريون من جرم ؟ وما كان جواب المسيح عليه السلام ؟ ·

اجاب وقال لهم : وأنتم أيضا لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ، فان الله أوصى قائلا : اكرم اباك وأمك ·· وأما أنتم ·· فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم ·· يامراءون حسنا تنبأ عنكم أشعيا قائلا : يقترب الى هذا الشعب بفمه ويكرمني بشفتيه واما قلبه فمبتعد عني بعيدا ، باطلا يعبدونني وهم يعلمون (بتشديد اللام المكسورة) تعاليم هي وصايا الناس » ·

« ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل مايخرج من الفم هذا ينجس الانسان » ·

***

واكثر من مرة لجأوا الى قتله فيذكر متى أيضا انه « تشاور الفريسيون عليه لكي يهلكوه فعلم

وانصرف من هناك ، ويقول مرقس انهم ائتمروا به ووقفوا له في الطريق فنجا الى جانب البحر ، ثم كانت محاكمته واتهامه بانه يجعل نفسه ملك اليهود ويعارض ولاية الولاة وحكومة القيصر ٠

هذه التهمة وما تبعها من محاكمة تجمع عليها الاناجيل الاربعة وأيضا انجيل برنابا ٠

استعانوا عليها بشهود زور قدمت لهم الرشوه كما دفعت الاموال أيضا لكل من بيلاطس وهيرود ٠

« تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والجمع كله فاوثقوا يسوع ومضوا به واسلموه الى بيلاطس وساله بيلاطس أنت ملك اليهود ؟ فأجاب وقال : أنت تقول :

دعا بيلاطس رؤساء الكهنة والشعب وقال لهم قد قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب ـ وهاأنذا قد فحصت قدامكم ولم أجد في هذا الانسان علة مما تشتكون به عليه (ل ١/١٥ ، ١٢/٢٣ ـ ١٥)

ناداهم ٠٠ وهو يريد أن يطلق يسوع فصرخوا قائلين أصلبه ٠٠ اصلبه فقال لهم ثالثة فاى شيء عمل هذا فانى لم أجد فيه علة للموت : فاخذوا يتصايحون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب فقويت أصواتهم واصوات رؤساء الكهنة ٠

قال متي : فلما رأى بيلاطس أنه لاينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا: انى برىء من دم هذا البار (متى ٢٧/٢٣ـ٢٤)

وهكذا تتوافق الاناجيل على هذا الحادث العظيم ـ وعلى براءة الوالى الرومانى وتلويث اليهود وحدهم٠

وليس هناك تعارض فى كل هذه المساءات بين الاناجيل وبين مايدين به المسلمون ٠ بل ان الآيات التى ذكرنا من القرآن تسجل عليهم أكثر من هذا ٠

أما نهاية المسيح على الارض فيكفى ان القرآن اثبت له تجلة كبرى اذ جعله أكبر من أن ينال منه كيد اليهود « واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا الا سحر مبين » « انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا ٠٠ »

وقد كنا نود لو استطعنا ان نسأل البابا : بابا الفاتيكان ومن معه من المؤتمرين الذين كان يسميهم المسيح أولاد الافاعى ، باى سبب جاءت هذه التسمية ؟ وباى شيء نادى قريتهم ٠٠ يا أورشليم ٠٠ يا أورشليم ٠٠ ياقاتلة الانبياء والمرسلين ٠

أجهل هؤلاء جميعا أنهم عرضوا كل نص من نصوص المسيحية للطعن وجعلوا مقدساتهم كلها بمدرجة السخرية والازدراء ٠

لقد دلت الكنيسة الغربية على أنها لاتزال تعيش فى ظلمات العصر الوسيط وتتخبط فى خرافات طرحتها المسيحية منذ عهد بعيد ٠ وهل كانت ثورة البروتستانتيين الا غضبة من أجل الأناجيل ؟ لقد ارتفع ظل الله من فوق الارض بارتفاع الخرافات من الرءوس ٠٠ لم يبق للحكام ولا لرجال الدين ماكان لهم من قبل وانما بقيت قداسة الدين واحترام النصوص ، ووظيفة رجال الدين ـ أى دين ـ هى فهم تعاليمه من تلك النصوص وحسن تطبيقها والمحافظة عليها ٠

ولو جاز لرجل من الناس ـ من البابوات ، او غيرهم ـ أن يغير نصوص الانجيل لجاز لرجل ثان أن يغير ماأثبته الاول ولثالث أن يحور ماأثبته الثانى وهكذا يظل الدين مذبذبا بين تيارات السياسة واهواء الدول ومطامع البابوات ٠

فاى دين اذن يكون هذا الدين ٠٠ ؟

وماذا يفعل البابا وأعضاء مؤتمره فى هذا التاريخ الطويل الملء بعداءات اليهود للمسيحيين والمسيحية؟ أيملك ظل الله على الارض أن يغير ايضا حقائق الماضى ويمحوها من التاريخ ؟ ٠

كثيرا ما تمثل الناس ببيت المتنبى :

ما مقامى بارض دجلة الا
كمقام المسيح بين اليهود

فلعله كان مقام تجلة وتكريم ٠

حقا ان للمال سلطانه على القلوب ٠

ولكن بحق أيضا ان البابا لم يبرىء اليهود ولكنه ذبح المسيحية نفسها وأعدم الاناجيل ٠

« عبد الجليل شلبى »

اللهم اغفر لأبي هريرة

للدكتور : جوده هلال

منذ فترة قصيرة ظهر في سلسلة أعلام العرب كتاب بعنوان « أبو هريرة راوية الاسلام » للاستاذ **عجاج الخطيب** – وهذه السلسلة تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي .

وهذا الكتاب على صغر حجمه جدير بالنظر والتأمل ، اذ أن موضوعه يتناول بالبحث – فيما يتناول – المعين الثاني للتشريع الاسلامي بصفة عامة ، ويكشف النقاب عن سيرة الصحابي الجليل « أبو هريرة » بخاصة .

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الكتاب وغيره من الكتب التي تتناول سير الشخصيات المقدسة بالعرض والتحليل جديرة بأن تستلفت النظر لما لها في نفوس البشر من تجلة واكبار .

لذلك رأينا فضيلة الشيخ محمد أبي زهرة (يقرظ) الكتاب في مجلة الكتاب العربي (العدد الأول ١٠ يونيو سنة ١٩٦٤) ويهاجم فكرة الطعن والتشكيك في أبي هريرة رضي الله عنه .

وفكرة التشكيك في أبي هريرة ليست وليدة اليوم ولا بنت الساعة ولكن اذا رجعنا الى الوراء رأينا النظام شيخ المعتزلة ومن لف لفه من أمثال بشر المريسي وابو القاسم البلخي من المتقدمين ... ثم عبد الحسين شرف الدين ، وفضيلة الشيخ أبي رية صاحب كتاب « أضواء على السنة المحمدية» الذي لم تكد عيناه تقع على « تقريظ » فضيلة الشيخ « أبو زهرة » لكتاب الأستاذ الخطيب حتى راح ينشب اظافره في أبي هريرة ويفري منه اللحم والعظم ، ويقول في عدد تال من مجلة الكتاب : وستظل نسم أبا هريرة بميسم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ حتى لقد ظننت أن كاتب «التقريظ» هو ابو هريرة لا فضيلة الشيخ « أبو زهرة » .

ووسم أبي هريرة بميسم الكذب على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ليس بجديد على أبي رية، فقد سبق له في كتابه الذي أشرنا اليه آنفا في بعض التعليقات الواردة في ص ١٩٠ ما نصه : « ويدل هذا القول على أن كذب أبي هريرة على النبي قد اشتهر حتى عم الآفاق ، لأنه قال ذلك وهو بالعراق ، وأن الناس جميعا كانوا يتحدثون عن هذا الكذب في كل مكان » .

ومثار شبهة الطاعنين في أبي هريرة عند المتقدمين والمتأخرين تتلخص في أمرين الأمر الأول : يرجع الى أن هناك بعض الأحاديث معزوة الى أبي هريرة مثل حديث الأنهار ، وما جاء في الدنيا من أنهار الجنة وهو الحديث رقم ٢١٨٣ من صحيح مسلم ومثل حديث « بدء الخلق وخلق آدم عليه السلام وهو الحديث رقم ٢٧٨٩ من صحيح مسلم ومثل أحاديث « فضائل موسى عليه السلام » وهي من ٢٣٧١ – ٢٣٧٥ من صحيح مسلم .

الأمر الثاني : هذه المجموعة الكبيرة من الأحاديث التي تبلغ (٥٣٧٤) رغم أنه قد تأخر في اسلامه، ولم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا مدة تبلغ الأربعة أعوام .

وللاجابة عن الشبهة الأولى يمكن أن يقال :

١ – انها احاديث يمكن تاويلها وحملها على المجاز والأصل في كلام العرب – كما قالوا – محمول على المجاز لا على الحقيقة .

٢ – لم لا يكون قد كذب على ابي هريرة كما كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣ – اذا كان ابو هريرة قد وسم بالكذب ، او اشتهر به – وحاشاه أن يكون – كما يقول الشيخ

ابو رية ، فما رأى فضيلته في الأئمة : أحمد ابن حنبل ، ومالك بن أنس ، والبخارى ، ومسلم ، وتقى بن مخلد وغيرهم ممن تزخر مسانيدهم ومعاجمهم ومصنفاتهم بمرويات أبى هريرة ؟

يا أبا رية : انى أناشدك برحم الاسلام التى تجمع بين المسلمين أن تقرأ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أى الناس خير ؟ فقال : « قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته ، ... وأن تتدبر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أصحابى ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه » .

يا أبا رية : لقد جاء فى كتاب « التعريفات » للجرجانى أن الصحابى هو من رأى النبى صلى الله عليه وسلم ، وطالت صحبته معه وان لم يرو عنه . وجاء فى « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوى أن الصحابى : « هو من لقى النبى صلى الله عليه وسلم من الثقلين مؤمنا به ، ومات على الاسلام ... وقيل: كل من روى عنه حديثا ، أو رآه رؤية فهو من الصحابة .

ان لأبى هريرة - يا أبا رية - شرف الصحبة ، وشرف الرواية ، وقد رأى الرسول رؤية مبصرة ، ومات - رحمه الله - على الاسلام ... الا أن يكون فى تقديرك أن أبا هريرة ليس من الثقلين ، أو مات على غير الاسلام ونعوذ بالله من البهت والافتراء على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يا أبا رية : اذا استثنينا عصر الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه وعصر أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب تجد أن العصور التى تلتهما كانت مرتعا خصبا للتيارات السياسية والخلافات المذهبية والعصبيات القبلية بالاضافة الى دخول العناصر اليهودية فى الاسلام ، ولم يكن اسلامهم كما يقول ابن خلدون فى مقدمته : أنهم تركوا تراثهم العقائدى والفكرى وراءهم ظهريا ، وأنهم تخلوا عن أحاديثهم الخرافية أو الاسرائيليات ... ، ولكن الذى حدث ان المسلمين تقبلوا منهم اسلامهم بقبول حسن ، وبالتالى ادخلوا الكثير من موروثهم فى شرح النصوص الدينية كالتفسير والحديث ولم يفطن أحد من علماء الاسلام الى هذا الدخيل على الثقافة الاسلامية حتى قيض الله لهذا الأمر الامام الجليل عبد الحق ابن عطية الأندلسى ، فجرد تفسيره من لغو هذه الاسرائيليات وحوشيها .

ثم لماذا هذا التحامل على رجال الحديث يا أبا رية؟

ان نظرة سريعة فى كتب الادب تقفنا على ماتزخر به من الروايات والقصص والنوادر والخطب والقصائد ، وكلها روايات لا تكاد تتفق فى ألفاظها وشروحها ولا حتى فى نسبتها الى أصحابها وقائليها .

ثم ما قولك يا أبا رية فى أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ؟

وما هو قولك فى أبى على القالى البغدادى ؟

ان العلامة عبد الرحمن بن خلدون يقول فى شأنهما وشأن ابن قتيبة والمبرد هذه العبارة التى تحلى بها جيد الزمن : « سمعنا من شيوخنا فى مجالس التعليم ان أصول فن الأدب وأركانه أربعة دواوين ، وهى : كتاب الكامل للمبرد ، وأدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لأبى على القالى البغدادى ، وما سوى هذه الكتب الأربعة فتبع لها وفروع منها » .

ومع ذلك فان الجاحظ قد روى فى كتابه «البيان والتبيين» خطبة نسبها لقطرى بن الفجاءة على حين أنها منسوبة فى نهج البلاغة وشرحه لابن أبى الحديد للامام على كرم الله وجهه - وهذا على سبيل المثال .

وأما أبو على البغدادى صاحب كتاب « الأمالى » فان الامام اللغوى الجليل أبا عبيد الله بن عبد العزيز البكرى الأندلسى المتوفى بقرطبة سنة ١٠٩٤ م قد ألف كتابا مستقلا سماه « التنبيه » على أوهام أبى على فى أماليه وهذا الكتاب مطبوع بدار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩٢٦ م .

ومع أن البكرى قد نبه فى كتابه على أن أبا على قد خانه التوفيق فى كثير من نسبة الشعر الى شعراء آخرين ، وأبيات متداخلة مع غيرها والبيت الواحد قد خلطه أبو على من عدة أبيات سابقة عليه أو تالية له ، هذا بالاضافة الى الشروح اللغوية والمناسبات المختلفة مع هذا فانه قال كلمة طيبة تناسب فضل أبى على ، انظر اليه وهو يقول : « هذا كتاب نبهت فيه على أوهام أبى على - رحمه الله - فى أماليه ، تنبيه المنصف لا المتعسف ...

الى أن يقول : « وأبو على من الحفظ وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل بالمحل الذى لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، واحصيت سقطاته .

و « كفى المرء نبلا أن تعد معايبه »

الله أكبر ، ان هذا لهو الخلق العظيم : يا أبا رية أما الاجابة على الأمر الثانى فاسمعها من أبى هريرة نفسه حيث يسوقها الينا فى رواية شائقة ، ويحكى ما كان يتوقعه من القالة عليه بسبب روايته لتلك المجموعة الكبيرة من الأحاديث فيقول : « انكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ والله الموعد ـ ... كنت رجلا مسكينا ، أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطنى ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق ـ أى التجارة ـ بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم ... فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه منى ، فبسطت ثوبى حتى قضى حديثه ، ثم ضممته الى فما نسيت شيئا سمعته منه » ... وهذا الحديث ـ يا هؤلاء ـ رواه مسلم فى صحيحه تحت رقم ٢٤٩٢ فى باب فضائل الصحابة ... انها ـ اذن ـ نفحة النبوة وبركة الرسول ... فان كان كبر عليكم ما سمعتموه ، وساءكم ما قرأتموه ، فاسمعوا النبأ العظيم عن السيد المسيح : « كان يبرىء الأكمة والابرص باذن الله » « ويحيى الموتى باذن الله » .

ان أبا هريرة كان من الممكن الا يروى حرفا واحدا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا آيتان انزلهما الله فى كتابه كما يقول فى الحديث الذى رواه ابن المسيب ، والآيتان هما : «ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى ... الخ » ، وهما رقم ١٥٩ ، ١٦٠ من سورة البقرة .

هذا : ولم يقل أحد بأن التحصيل والحفظ يقاسان بطول الزمن وقصره ففى مناقب الامام السيوطى ـ رحمه الله ـ أنه حفظ القرآن وهو دون الثامنة ، وأن الامام الشافعى جلس للاقراء والدرس وهو دون الخامسة عشرة ، وأن زيد بن ثابت تعلم اللغة العبرية فى أيام معدودات ، وأن الامام الزعفرانى روى فقه الشافعى ببغداد فى مدة أقل من المدة التى لازم فيها أبو هريرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

يا أبا رية : ان نسبة الكذب الى أى انسان تجرح كبرياءه فما بالك بمن تفانى فى خدمة النبى الأمين ولم يشغله عن دينه ما يشغل الناس ـ مثلى ومثلك ـ من زخرف الدنيا .

وانى لن أقص عليك ما حكاه الأئمة الأعلام من امثال الامام الشافعى ، والامام البخارى ، والحافظ الذهبى وابن الأثير وغيرهم فى حفظ أبى هريرة وضبطه واتقانه ... ولكنى اسمعك دعوة النبى صلى الله عليه وسلم له ولأمه فى حديث طويل ذكره مسلم فى صحيحه تحت رقم ٢٤٩١ يقول أبو هريرة : « كنت أدعو أمى الى الاسلام وهى مشركة ، فدعوتها يوما فاسمعتنى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكره ، فأتيت رسول الله وأنا أبكى .. قلت يا رسول الله ! انى كنت أدعو أمى الى الاسلام فتأبى على . فدعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدى أم أبى هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد أم أبى هريرة ، فخرجت مستبشرا بدعوة النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما جئت ، فصرت الى الباب ، فاذا هو مجاف ، فسمعت أمى خشف قدمى ، فقالت مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة الماء ، قال: فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب ثم قالت : يا أبا هريرة ، أشهد أن لا اله الا الله ، واشهد أن محمدا عبده ورسوله ، قال : فرجعت الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فاتيته وأنا أبكى من الفرح . قال : قلت يا رسول الله ، أبشر .. قد استجاب الله دعوتك ، وهدى أم أبى هريرة ، فحمد الله واثنى عليه وقال خيرا .. قال : قلت يا رسول الله ، ادع الله أن يحببنى انا وامى الى عباده المؤمنين ويحببهم الينا . قال : فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « اللهم حبب عبيدك هذا ـ يعنى أبا هريرة وامه ـ الى عبادك المؤمنين ، وحبب اليهم المؤمنين » ـ فما خلق مؤمن يسمع بى ولا يرانى الا أحبنى .

ان طريق الهدم ـ يا أبا رية ـ طريق سهل وجد يسير ، وطريق البناء طريق شاق وجد عسير .. وان هدم مدينة وتحويلها الى انقاض أو رماد لا يكلف الا أقل القليل .. وبناء كوخ ـ ولو كان

عيد النصر

للشاعر : عامر محمد بحيرى

جاءت على خفر .. تقـــ   ـدم ..في صباح العيد..ورده !
حمراء ، فاتنة .. تفـــا   خي .. من حبيب القلب..خده
فيهــا الحيـاء مجسـما   فيهــا المعـــزة ، والموده
وكأنهـا شـفة .. عـلى   كأس الغرام . .تنال شـهده
ياليتنى .. قبلتهـــا   فى وصلة .. منها .. وصده
كل الطبيعة . . فى خشـــو   ع الحب . .كانت مستعدة !

***

وسألتها : ما العيد .. يمـــ   ـضى .. ثم يرجع..بعد مده ؟
قالت : يذكرنا بمـــا   ننساه .. من فرح ، وشـده
وجريمة العـدوان .. جـا   ء .. يصب نقمته ، وحقده
وكتيبـة الايمان . . تســـ   ـحق كل ذى كفـــر ، ورده
وكأنهـا قدر .. يصـــ   ـد .. قوى الشرور، المستبده
والفجر .. ينصـــل من غيـا   بات الدجى..والشمس بعده !

***

وسألتها : ما الورد .. يهــــ   ـدى .. فى صباح العيد..وحده
قـالت : يذكـرنا الشـهيـ   ـد وقد سعى للنصر .. جهده
بذل الدماء . .لكى تســـو   د عروبة .. وتتم وحده ..
هــذا هو الحـب .. الأبى ..   من الخلود .. قطفت..ورده ..
هو فى الدماء .. الصـــارخا   ت .. بيوم الاقدام ، ونجده ..
لافى الدموع .. الســـاخنا   ت .. السافحات..على المخده!

كوخا صغيرا ـ يكلف الكثير من البذل والجهد ، والتضحية والعرق .

اننا فى حاجة الى أن يضع كل فرد فى هذه الأمة ، طوبة على طوبة ، وحجرا على حجر لنحافظ بذلك على تراثنا وماضينا وكياننـا وأملنا ... واننا فى حاجة الى مزيد من التماسك البناء أمام قوى الهـدم والالحاد والنزعات المغرضـــة والأفكار الخبيثة التى تطل وكأنها رأس الشيطان .

وهب ـ يا أبا رية ـ أن أبا هريرة رضى الله عنه قد أخطـــأ .. أفتدرى لمــاذا يجـوز أن يخطىء « أبو هريرة » ؟

الجواب بسيط جدا ... لأنه من البشر ... من الأناسى .. من الذين لو لم يخطئوا لخرجوا عن طبيعتهم البشرية والانسـانية ... ولو خرجوا عن طبيعتهم لاســتبدل الله بهم خلقـا آخـــر يخطئون فيستغفرون فيغفر الله لهم .

وانى لأعلم أن لأبى رية عقلا وخلقا يمنعانه من المضى فيما هو فيه ، وأن يقول كما قال الرســول الـكريم : « اللهم حبب عبـدك هــذا ـ يعنى أبا هـــريرة ـ الى المؤمنـين وحبب المؤمنين فى أبى هريرة .

« د . جودة هلال »

من ملحمة عمر

فتح بيت المقدس

بقلم : علي أحمد باكثير

في بيت الشيخ صفرونيوس بطريق بيت المقدس وعنده أحد القس .

القس : (ينظر من الشباك) هذا الاطربون ياسيدي البطريق قد اقبل ومعه رجال .

صفرونيوس : لا تخف يامیخائيل .. قد نبهت الحرس على الباب الا يسمحوا بالدخول الا للاطربون وحده .
(تسمع جلبة وضوضاء من الخارج)

القس : هذا عراك بين الحرس وبين رجال الاطربون .

صفرونيوس : لا تخف .. ان الله معنا والشعب معنا .
(تهدأ الجلبة ثم يدخل الاطربون) .

الاطربون : أهكذا تعاملني يا سيدي البطريق ؟

صفرونيوس : (ينهض محييا) مرحبا بك يا سيدي الاطربون .. هدیء غضبك ، اجلس .

الاطربون : أدعوك الى دار الحكم فترفض الحضور بغير عذر ؟

صفرونيوس : أنا شيخ في السبعين وانت في عنفوان شبابك فماذا عليك اذا سعيت الى ؟

الاطربون : لكن دار الحكم هناك .

صفرونيوس : دار الحكم اصبحت هنا في هذا المكان .. ألا تسمع؟

أصوات (تهتف من الخارج) نحن معك ياصفرونيوس .
لا نعترف بغير صفرونيوس .. اخرج من ايلياء يا أطربون ، اخرجوا من مدينتنا أيها الروم .

الاطربون : أنت الذي أوعزت الى هؤلاء الغوغاء .

صفرونيوس : فأوعز أنت اليهم بما تشاء ان استطعت .

الاطربون : وقد اهنتني اذ منعت رجالي من الدخول معي

صفرونيوس : ان كنت تريد أن تتباحث معي فماذا يصنع عندنا جنودك ؟ اني أحب الهدوء فلنتباحث وحدنا في هدوء .. اجلس .

الاطربون : (يجلس) أحقا تريد تسليم المدينة الى هؤلاء المسلمين بغير قتال ؟

صفرونيوس : نعم فقد تعب الناس من الحصار .

الاطربون : انت لا تملك هذا الحق .. انت بطريق ولست بحاكم .. أنا الحاكم .

صفرونيوس : أنت تحكم حيث يتكلم السيف وانا أحكم حيث يتكلم السلام .

الاطربون : من الذي خولك ذلك ؟

صفرونيوس : الشعب .

الاطربون : والقيصر هرقل أليس له سلطان عليك .

صفرونيوس : القيصر لم يعد له سلطان على ايلياء ولا على غيرها وليس ذلك ذنبي . ألا ترى أن اغلب المدن قد سلمت لهؤلاء المسلمين واتفقت معهم ؟

الاطربون : لكن ايلياء مدينة مقدسة .

صفرونيوس : مقدسة عندنا وعندهم على السواء فأحرى أن يعاملوا اهلها معاملة أكرم .

الاطربون : ألا تعلم أن اليهود فرحون بدخول المسلمين ؟

صفرونيوس : لا حبا للمسلمين بل تشفيا من هرقل اذ اضطهدهم وقتل منهم ونفى .. ثم ما شأننا باليهود ؟ علينا ان ننظر الى مصلحتنا ومصلحة أهل المدينة .

الاطربون : سيعود اليهود الى المدينة بعد ما طهرت من رجسهم .

صفرونيوس : كلا .. سنشترط على المسلمين الا يسمح بدخولها لليهود .

الاطربون : المسلمون لن يقبلوا هذا الشرط .

صفرنيوس : عجبا لك يااطربون .. أتجادلني في الصلح اليوم بعد ما حضر اميرهم عمر من عاصمته وعسكر من دوننا جنوده ، ويلك ألست انت الذي اقترح على عمرو أن يستقدم عمر ليمضي الصلح بنفسه .

الاطربون : انما أردت بذلك أن اكسب الوقت ريثما يأتينا المدد من قيسارية .

صفرونيوس : فها هي ذي قد حوصرت فلا يأتينا منها شيء .

الاطربون : ان بها قسطنطين يدافع ويحشد الجيوش والمؤن والذخائر .

صفرونيوس : ان هرقل نفسه قد انتهى فماذا يستطيع ابنه يفعل ؟

الاطربون كلا ما انتهى هرقل !

صفرونيوس : بل انتهى .. استشعر غضب الله عليه اذ تزوج ابنة اخته فأراد أن يكفر عن ذنبه ويتقرب الى الله بجمع المسيحيين على مذهب واحد فزاد الطين بلة وأثار الأحقاد والأضغان .

الاطربون : اليوم تعلن عداوتك للمذهب الموحد .. فهلا أعلنته من قبل أمام قيصر ؟

صفرونيوس : انه يعلم انى غير موافق على مذهبه الجديد وانما ولانى بطريقا لايلياء ليستميلنى اليه كما فعل مع قيرس والناسيوس . ولكنى لست مثل قيرس أو اثناسيوس ، انى لا أترك مذهبي الذي أعتقد انه هو الحق من أجل ملك أو امبراطور .

الاطربون : ستتركه غدا من أجل هذا الملك العربي وجنوده .

صفرونيوس : كلا انهم لا يتعرضون لدين احد ولا لمذهبه ولو فعلوا لما استطاعوا أن يغزوا قلوب أهل الشام من انطاكية الى .. الى غزة .

الاطربون : لقد صبرنا لهم مدة طويلة ولا يزال عندنا المؤن والذخائر فلم نعجل بالتسليم ؟

صفرنيوس : المؤن والذخائر يوشك أن تنفد ، والشعب يريد الصلح ويلح في طلبه ولا سيما لما سمعوا بمجيء بطلهم خالد الذي لاتصده القلاع ولا تمنعه الحصون .

الاطربون : قد كان لي وسعك ياصاحب اللسان المعسول أن تقنعهم بالصبر والمقاومة .. اذن لرأوا أن خالدا هذا لن يقدر على مدينتهم المنيعة الحصينة ولن يكون نصيبه خيرا من نصيب الداهية عمرو !

صفرونيوس : لقد انتشر بين أهل المدينة أن خالدا استأذن عمر في فتحها عنوة ، فمنعه وقال له ان الله لايرضى لنا أن نستبيح بيت المقدس ، ما كان من ذلك بد ، فماذا يصنع لسانى المعسول في اقناعهم ؟ اخرج أنت اليهم فأقنعهم ان استطعت .

الاطربون : انهم لا يستمعون الا الى نصحك .

صفرونيوس : فاستمع أنت ايضا الى نصحى ، انى لااريد أن تقع فى أيديهم فلن يغفروا لك نكايتك بهم وعداوتك لهم فالحق بمصر وانج بنفسك وجنودك .

الاطربون : وهؤلاء الروم المقيمون بالمدينة ؟

صفرونيوس : لا تخف فسنشترط أن يكون لهم الخيار في الرحيل والمقام .

الاطربون : هل لك اذن ياسيدى البطريق أن تعينني على هربي؟

صفرونيوس : نعم اقترح ما تشاء فاني حريص على سلامتك .

الاطربون : اشع في الناس غدا اني قد هربت الى مصر ، وسأختبيء انا وابقى مختبئا حتى يتم الصلح فأخرج متنكرا مع الخارجين .

صفرونيوس : هذه خطة حسنة .

الاطربون : ولكنى سوف أثيرها عليهم حربا شعواء من مصر

صفرونيوس : فعل ياسيدى الاطربون .. هذا واجبك .

« ستار »

علي احمد باكثير

وقفت أبارك أعيادها وأتلو على الكون أمجادها
وامجاد مصر تهز الوجود ويستعذب الدهر انشادها
وآثارها كعبة للفنون تزار . ألم تر قصادها ؟؟
أساس الحضارة من خطه ؟ ودنيا المعارف من شادها ؟
سل الأرض من بث فيها الحياة وصاح فايقظ رقادها ؟
وأرسى على الأرض أهرامه فاصفرت الأرض أوتادها ؟
الا قل لمن طاف حول الفضاء ورام الكواكب فارتادها
سل النجم يخبرك أنا قديما بلغنا الشموس وآرادها

***

بعثت نشيدى فى عيد مصر يشارك فى العزف أعوادها
وللنصر أنشودة لا تمل ولا يسأم السمع تردادها
ترتلها الألسن مثلما ترتل فى الليل أورادها
ألا اننا امة حطمت بقبضة « شمشون » أصفادها
تعرض أجيادها للسيوف ولا يلمس الطوق أجيادها
لأجل الحمى ترخص المهجات وتصهر فى النار أجسادها
وتنسى اذا حاربت نفسها وتذكر فى الغد أحفادها
وتعلم أن الهزيمة عار يلاحق فى الترب أجدادها
حياض الردى اين ورادها اذا نحن لم نك ورادها
نخوض الحروب اذا أوقدت وان نك نكره ايقادها
وتعرفنا البيض عند اللقاء كما تعرف الصفر نقادها

***

ويوم القناة دهى المعتدين على حرمات الحمى ما دهى
سماوات ((التيمز)) قد أرعدت فما رهبت مصر ارعادها
وقوات باريس قد أوعدت فما خشيت مصر ايعادها
وخلف ركاب الخميسين ساقت عصابة صهيون أوغادها
سل الحلف حلف الشياطين كيف رأى غاب مصر وآسادها
جيوش تدل بآلاتها رأت فى الكنانة اندادها
همو حسبوا مصر صيدا سمينا وقد تقنص الأسد صيادها
ومن رام لحم الكواسر زادا له تك أشلاؤه زادها
ومصر ترد أذى من يغير عليها وتجلد جلادها
لقد عبأت مصر يوم القناة من الحق والحقد أجنادها
وغى ما استطاع العدو المغير بغير الهزيمة اخمادها
أدار السواد رحاها فكانوا جنود الحروب وقوادها
ترى الأم تزحف زحف اللباة اليها وتدفع أولادها

لقد حسبتها السموات «بدرا» … فساقت الى مصر أمدادها
وكم حرست مصر عين السماء … وكاد الاله لمن كادها
اذا أدرعت أمة باليقين … تولى المهيمن انجادها
ولم أنس ان العروبة كانت … سواعد مصر وأعضادها
ولم أنس جلقها حين مدت … يديها ولم أنس بغدادها
أراد المهاجم تشتيتها … فوحد بالغزو آحادها
وساد العروبة روح الوئام … وانعم به حينما سادها
ومصر ملاذ العروبة تحمى … حماها وترعى لها ضادها
وتدفع عنها العوادى حين … تنوب وتحمل ما آدها
وتدرى العروبة أن جمالا … اذا جرحت كان ضمادها
وتعرف مصر له أنه … الى قمة المجد قد قادها
وتعرف أن جمالا أذل … عداها وأرغم حسادها
تولى بمصر زمام الامور … فقوم بالعدل منآدها
ويا رب وال أراد صلاح الأ … مور فضاعف افسادها
ورب طبيب قليل المران … اذا ما أسى علة زادها
عهود المظالم زالت فلا … سقاها الغمام ولا جادها
ولم تتحد العروش ولكن … هو الظلم زلزل أطوادها
أرى الملكية حمت وباتت … من السقم تونس عوادها
وساد السواد البلاد وصار … ولاة الممالك أفرادها
وعزت نفوس على الهون ربضت … ومن ألف الذلة اعتادها
لقد كانت الأرض حربا على من … سقاها ونضر أعوادها
تفيض على ناعمات الأكف … نضارا وتحرم حصادها
فكم من عراة لهم سادة … من الخز تنسج ابرادها
وحوش من الانس ليست بغير … دم الشعب تنقع أكبادها
بأيد ملوثة لا تعف … من السحت تجمع ايرادها
جمال جمال حقوق الضعيف … اذا سلبت كنت ردادها
جمال جمال قيود الشعوب … اذا أحكمت كنت حدادها
جمال جمال بنى الاحتلال … اذا شيدت كنت هدادها
غزوت العروش وبعد العروش … تتبعت بالغزو عبادها
بلوناك فى كل خطب فكنت … ذكى القريحة وقادها
الام سكوتك عن عصبة … تولى الشياطين ايجادها ؟
أيشهد مصرعها الغرب يوما … كما شهد العرب ميلادها ؟
بربك هل حان ميعادها ؟ … فقد استبطأ العرب ميعادها
لقد سئم العرب طول الجمام … وقد ملت البيض اغمادها

شعر اليوم في محنة

بقلم : مصطفى عبد اللطيف السحرتي

في مقالات سابقة دعونا الى ضرورة التعايش الادبي والفني بين انصار الشعر المقفى ، وانصار الشعر الحر ، خدمة لفن الشعر ، وامكان التجاوب تجاوبا سليما مع تجارب العصر ، وحقائق الحياة الجديدة .

واستهدافا لهذه الغاية النبيلة ، قمنا بعرض طائفة من النماذج المقفاة والمتحررة ، وقدرنا ما تنطوي عليه من ابداع وجدة ، آملين التقريب بين انصار الشكلين وبغية الالتقاء بين المتصارعين، عند بئر الفن الصافية

ولكن جماعة من ادبائنا بلجنة الشعر ، لم تقدر هذه الدعوة قدرها ، واشعلت المعركة بينها وبين انصار الشعر الحر في مذكرة رفعتها الى الجهة الرسمية ، تستعديها على الشكل الجديد ، وتزعم فيها أن اتخاذ هذا الشكل عامل من عوامل تقويض اللغة ، والتفريط في اللغة تفريط في قضية القومية

ولم تكن نظرة اللجنة الى هذا الشكل نظرة موضوعية شاملة ، بل كانت نظرة جانبية ضيقة ، اعتمدت فيها على كثير مما ينشر في مجلة «الشعر» من قصائد غثة ركيكة ، او غامضة تحجب الرؤية الواضحة

واذا كنا نوافقها على أن كثيرا مما ينشر تشوبه السطحية والركة والغموض ، الا أن من العنت الحكم على تيار ادبي جديد بما يعلوه من زبد ، بل الحكم المنصف يقوم دائما على ما يحمل هذا التيار من درر ومضت وتألقت في اعمال كثير من شعرائه في بلاد العربية ، من أمثال نازك الملائكة ، وبدر شاكر السيابي ، وعبد الوهاب البياتي ، وبلند الحيدري ، وكاظم جواد في العراق ، ولدى امثال احمد عبد المعطي حجازي ، وكامل ايوب ، وكمال نشأت ، وملك عبد العزيز ، وصلاح عبد الصبور ، ونجيب سرور ، وعبده بدوي في مصر ، ولدى امثال على أحمد سعيد ، ونزار قباني ، وخليل الخوري في سوريا ، وامثال خليل حاوي في لبنان ، وامثال محيي الدين فارس ، والفيتوري ، وجيلي عبد الرحمن، وكجراي في السودان، وامثال فدوى طوقان ، وعلى هاشم رشيد وسلمى خضراء الجيوسي ، ومعين بسيسو في فلسطين ، وامثال امين شنار ، وثريا ملحس في الاردن ، وامثال غازي القصيبي في البحرين ، وناجي غلوش في الكويت ، والرقيعي في ليبيا ، وناصر أبو صيمد في السعودية، وغيرهم من شعراء العربية الذين لا يمكن حصرهم في هذا المقال

فعلى روائع امثال هؤلاء النابهين يبنى الحكم على صلاحية هذا التيار الجديد ، اما الحكم عليه بقصائد طائفة من غير المتمرسين بالشكل الجديد ، فهو ضرب من التحكم البعيد عن الانصاف .

ولو كان بعض اعضاء هذه اللجنة ، بحث ونقب عن هذه الروائع ، كما فعل احدهم وهو الدكتور زكي نجيب محمود في مغامراته مع قصائد ادونيس، واستشعاره المتعة بها ، لوجدوا في كثير من شعر من ذكرنا آنفا ، المضمون القومي والانساني الذي ينشدون ، فضلا عن المتعة بالشكل الجديد في بنائه السليم ، ونسيجه الحي الرفاف .

واذا كان كثير من اعضاء هذه اللجنة ، اخذته العزة بالشكل المقفى، دون محاولة المغامرة في روائع هذا التيار الجديد ، وهو ما تأباه أمانة الحكم ، فقد كان بودنا أن نضع تحت نظره طائفة من قصائد المتمرسين بالشكل الجديد ، رجاء اذابة الجليد القائم بين الشكلين ، واذ يعجز هذا المقال

عن حمل ماتريد فلنكتف بقصيدة واحدة ، للشاعر العراقى عبد الوهاب البياتى من ديوانه « اشعار فى المنفى » بعنوان « المزيفون » يصور فيها القتيل وقاتله الخسيس الجبان ، فى صورة كلية حية وايقاعات هارمونية ، ونسيج شفاف يقول :

– الريح والغربان تنقر فى عيونك ، والدماء
صبغت حصى الوادى
وكفك للسماء
مرفوعة للنجم ، للأفق البعيد
وجناح نسر فى الفضاء الازرق النائى يموت
يموت فى عينيك
والغربان تنقره
يموت
وكلابهم تعوى وقاتلك الجبان
خزيان يمسح عن حصى الوادى الدماء
ويقبل النصل – الذى أرداك – فى لؤم
ويجهش فى البكاء
وكمن يقول ، كمن الى اللص : احترس
ولسيد البيت : الحذار
صلى عليك ، وسار لا يلوى على شىء
وامعن فى الفرار
والريح والغربان تنقر فى عيونك ، والفضاء
نعش بلا ورد
وتابوت يجر بلا غطاء
ووراءه تعوى الكلاب !

وبمثل هذه النفضات القلمية المصورة لهذا المشهد المؤثر ، نقع على شعر تتمثل فيه ميزات الشعر الحقيقى الفنى ، المجرد من المباشرة ، والجهارة ، والرنين ، والجلجلة الخطابية ، التى تفسد اغلب شعرنا المقفى الحاضر .

نضع هذا النموذج الشعرى الواحد مؤكدين ان التيار الجديد ، تسبح فيه درر متألقة كثيرة مماثلة له ، تستاهل كل اكبار ، ولكن اللجنة مع الأسف الشديد ،وقفت بالمرصاد للشكل الجديد ،وسكتت عما ينشر من شعر مقفى بالغ حد الهبوط،واجازت شعرا مقفى لا لون ، ولا طعم ولا نكهة له فى المهرجانات الشعرية التى تعقد داخل القطر وخارجه كأنما كل شعر موزون مقفى يحمل لديها بطاقة المرور البيضاء .

ولو كانت اللجنة ، وقفت موقفا محايدا ،وأبدت نفورها مما ينشر من كلا الشكلين ، لرحبنا بذكرتها وابدناها فى اعزاز هذا الفن الرفيع الذى تزاحم عليه الواغلون ، والادعياء ، اولئكم الذين كادوا ينفروننا من قراءة الشعر فى اى شكل من اشكاله .

فنحن اذ نطلع على كثير من الشعر المقفى المعاصر يتولانا الشجى ، اذ نجد شعرا تقليديا عقلانيا ، يدور حول فكرة واضحة كل الوضوح ، يغنينا النثر عنها ، أو شعرا رومانسيا سطحيا يدور حول عاطفة ساذجة عبر عنها تعبيرا عاديا

ومثل هذا الشعر او النظم لن يغذى الوعى الوجدانى ، أو يثرى الوجدان القومى ، ولن يهب اية لذة جمالية ، لانعدام عناصر الجدة والطرافة فيه

وسكوت اللجنة عنه ، سكوت غريب ، نخشى ان يكون رضا عنه ، وبهذا تكون قد تهاونت فى واجبها الاول الذى يقضى برعاية هذا الفن الرفيع ، ومجاهدة ما يعكر صفوه . ولكنها غضت البصر عن الغثاء المقفى ، واتجهت الى مجاهدة التيار الجديد بما يحمل من درر او اصداف وهذا الموقف مثير للعجب والألم معا .

وقد كان بودنا أن نضع امامها نماذج كثيرة من هذا الشعر المقفى الفاتر السقيم الذى سكتت عنه اللجنة ، ولكن هذا المأرب تضيق عنه صفحات هذه المجلة .

ولن يمنعنا هذا من ذكر نموذج من هذا الشعر الذى نشر فى هذا العام ، لنرى كيف هبط هذا الشعر هبوطا عميقا ، ولنستمع الى هذا الشاعر فى قصيدته « صرخة ضائعة » حيث يقول :

حطمت المصابيح فى عزلتى
وآثرت حب الظلام العميق
فلا من يرانى ولا من اراه
ولا من عدو ولا من صديق
الا كم رفيق تعلقته
فلما دجا الليل ضاع الرفيق
انادى ، فلا من يجيب النداء
كأنى وحدى انادى الطريق
ظلمتك ، يا قلب ، وا رحمتاه
حملت من الحب ما لا تطيق

فمثل هذا الهراء ، مرت عليه اللجنة مرور

الكرام ، ولم يثر وجدان بعض اعضائها الحساسين عليه ، كما ثاروا على النماذج الرديئة فى الشعر الحر .

ولم تتخير هذه القصيدة ، علم الحق ، بل ان هناك مثيلات لها فى الرداءة ، لشعراء مشهورين ، وغير مشهورين، يابى القلم فى هذا المجال الموضوعى، ان تكشف عنهم .

ولكنا نقول فى اخلاص ، ان مثل هذه النظم الذى سكتت عنه اللجنة ، لا يخدم الغاية النبيلة التى نص قانون المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب عليها ، من تنشئة اجيال من اهل الآداب والفنون على التذوق الفنى ، وابراز الطابع القومى فى الانتاج . ذلك لأن مثل هذا النظم البارد السقيم لا يهب رهافة للحس ، ولا وقدة للذهن ، ولا يقوى روحا قومية ، او حضارية .

ورسالة اللجنة رسالة **فنية وحضارية** ، رسالة تحتضن الروائع الشعرية ، فى اى شكل من الأشكال وابراز وظيفة الشعر الحقيقية فى الكشف عن المجاهل البعيدة وراء مجال الشعور ، والفكرات المخبوءة التى يتعذر على المتلقى الافصاح عنهما ، والابانة عن مفاهيم الحياة ، وحقائقها التى يجد الشاعر الممتاز تفسيرا ذكيا لها فى ديباجة فنية صافية موحية .

وليست رسالتها مقصورة على شكل واحد ، والدفاع عنه ، ومقاومة آخر فى صلابة فكرية ، ووقفة هتلرية ، لا تجوز بأى حال من الاحوال فى العهد الديموقراطى الثورى ، الذى يبيح لكل مفكر واديب وشاعر حريته الكاملة فى التعبير عن فكراته وتجاربه ، دون اى قيد ، الا قيدين اثنين هما الا تكون هذه الفكرات والتجارب مجافية للنظام العام، او منافية للأيديولوجية العربية الجديدة .

ومما لاخلاف عليه ، أن ولاية الدولة على التجارب الادبية محددة بهذين القيدين ، وليس لها ولاية على صياغة التجارب الأدبية ، او المذاهب الادبية التى يعتنقها الأدباء ، فلهؤلاء كامل الحرية فى صياغاتهم ، ومذاهبهم المتوائمة مع ميولهم ونزعاتهم واتجاهاتهم الفكرية .

وليس شك فى أن استعداء الدولة على تيار ادبى ارتضاه الشعراء والنقاد وطلب المساهمة فى مقاومته ، مما يدعو الى الاسى والغرابة ، لأن الدولة تعرف اختصاصها ومدى ولايتها ، وهى لا تقر ابدا طلبا مخالفا مخالفة صريحة للحرية الفكرية والتعبيرية التى تؤمن بها ايمانا عميقا .

وهى ، على هذا ، لن تقبل بأية حال ، ان تعهد الى اللجنة الاشراف على مجلاتها الأدبية ، لأن هذا الاشراف هو نوع من التحكم الجديد فى حرية التعبير التى تؤمن بها الدولة .

« مصطفى عبد اللطيف السحرتى »



من تاريخنا القريب

ثورة في أول برلمان مصري

بقلم : محمد رجب البيومي

اضطر الخديوى اسماعيل اضطرارا أن ينشىء مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ ليظهر امام الغرب فى صورة الحاكم العصرى المسئول امام رعيته ، فيسهل عليه أن يقترض الاموال الطائلة وأن يسير بالامور فى مصر كما يشاء ، وقد حيكت حول هذا المجلس الناشىء أراجيف مغرضة تضائل من مكانة أعضائه ، وتهوى بهم الى وهدة التخبط والجهل والجمود ، **فمن زاعم** أن شريف باشا وزير الداخلية أراد أن يفهم الاعضاء ان مجالس أوربا النيابية تنقسم دائما الى حزبين : حزب يعضد الحكومة وآخر يقاومها فعلى حضراتهم أن يكونوا كذلك بحيث يجلس مؤيدو الحكومة على مقاعد اليمين ، وذوو المعارضة على مقاعد اليسار ! ولكن النواب تسابقوا جميعا الى مقاعد اليمين قائلين نحن عبيد أفندينا فكيف نعارض حكومته .

ومن زاعم أن بعض النواب قد قال اذا كان أحدنا لا يستطيع أن يرد على مدير الاقليم فى أمر ما مهما كان جائرا فكيف نجسر على مقاومة ارادة أفندينا ، وهو يملك أعناقنا ويتحكم فى أعمارنا! ومن زاعم ان انتخاب هؤلاء الاعضاء كان جبرا محتوما عليهم ، اذ لجئوا الى الشفاعات الضارعة كى يخرجوا من تبعة هذا الأمر الخطير فما استطاعوا الافلات لحظهم البئيس ، وكأنهم يساقون فيه الى مأساة تنذر بالشر الكارث .. الى آخر ما سطره مالك كون والليدى دف جوردون ومالورتى وغيرهم من المؤرخين ، وتقل الينا مترجما فى كتب مأجورة تسبح بحمد اسماعيل . ويكفى للرد على هذه الأراجيف أن نقول ان أعضاء هذا المجلس كانوا شوكة دامية فى جنب الاستعمار وقذاة اليمة فى عين اسماعيل ، اذ أسقطوا الوزارة الجائرة ، وقهروا الحكومة المستبدة ، وأدوا دورهم البطولى كما تؤديه أرقى برلمانات أوربا حين أوقعوا الهزيمة بالمتجبرين !! ولن يقال فى مجلس يفعل ذلك انه دمى تتحرك على المقاعد دون تفكير !.

اما كيف قام المجلس بعمله الحاسم فى اسقاط وزارة الامير توفيق فهذا ما نخصه ببعض التفصيل: حين ألفت من الاجانب لجنة التحقيق العامة ، لم يكن من همها معالجة الأمور المالية على نحو يضمن تسديد الدين المصرى لأصحابه ، بل رأت أن يمتد نشاطها الاستعمارى الى سياسة مصر وشئونها الخاصة ، وقد افترضت أن مجلس النواب شىء صورى لا تأثير له فى توجيه السياسة القومية ، ولكن مبادىء جمال الدين قد أفهمت أعضاء هذا المجلس رسالتهم الدستورية فى رقابة الحكومة وتقرير مسئوليتها امام البرلمان ، فأرسل المجلس الى السير ريفرز ولسن وزير المالية يدعوه ليناقشه فيما يبرمه من الأمور الاقتصادية ولكنه لم يعبأ قيد شعرة بما طلب منه بل هز رأسه هزة العابث المستهزىء ، وانطلق النواب يزأرون بالنقد اللاذع ، ويوجهون حملاتهم داخل البرلمان وخارجه على صفحات الجرائد وفى ندوة بيت البكرى ، حتى ضاقت الوزارة ذرعا بما يثخنها من تجريح ، وعزم اسماعيل أن يصدر أمره بحل المجلس ، وأعد المرسوم فحمله ناظر الداخلية مصطفى رياض ليعلن به انفضاض البرلمان وانتهاء الأمر كما يتخيل من أيسر طريق .

ولو كان لدى الوزارة بأعضائها الأجانب ورئيسها ولى العهد محمد توفيق ونظارها الغافلين بعض السعة فى التدبير لعلموا أن أعضاء البرلمان يضعون

قوة عاصفة ستقف في وجه الطغيان وتجادله الحجاج وبذلك يأخذون للموقف أهبتــه فلا يبوءون بخذلان فاضح يبدد آمالهم في الهواء ، ويتــركهم مدعورين على صيحات الأباة المجاهدين .

لقد حمل لواء المعارضة في هذا الموقف العاصف نائب باسل هو عبد السلام المويلحي ، أحد تلاميذ جمال الدين ، وبعض من تثقفوا بالازهر فقرءوا علوم المنطق والبلاغة والتفسير ، ورزقوا مقدرة اصيلة على الصيال والحجاج! ومن العجيب ان عبدالسلام المويلحي كان تاجرا كبيرا بالقاهرة يتفرغ الى ادارة بضائعه وتثمير امواله ، وقد تعرض لخسارة مالية لم ينقذه من اعبائهــا غير الخديوى اسماعيل حين امر له بمبلغ كبير من المال يجبــر به ما قدحه من الافلاس ! ولكن البطل الأبى في مضمار المعارضــة المخلصة لم يشأ ان يكون بين من يسكتهم المال عن الحــق الصريح ، فاندفع في المعارضــة اندفاعا لقى تأييد الزملاء ، وسخط الحاكمين .

***

لقد تقدم مصطفى رياض ناظر الداخلية الى ساحة المجلس ليقول :

اقــدم لحضراتكم شــكر الحكومــة على ما ابداه المجلس من النشاط في نظر المسائل التى عرضت عليه ، واتلو على اسماعكم الأمر العالى الصادر من مولاى ، ثم تلا مرسوما بحل المجلس نظرا لانتهــاء مدته المقررة ، وظن أن الامر قد انتهى بهذه السهولة فهم بترك المنصــة ، ولكنــه فوجيء بعبــد السلام المويلحي يصيح : لا ادرى معنى لشكر الحكومة فاننا لم نقم بعمل الى الآن يكون له شبه فائدة تعود على البلاد ؟ فما هى المآثر التى سنتركها وراءنا لتشكرنا الحكومة فيما لو فرضنا المستحيل وانفض المجلس!

جلجلت كلمة المستحيل في سمع رياض جلجلــة الرعد ، فثار غيظه الساخط واندفع يقول مهددا :

ماذا تقول حضرتك ! مســتحيل فض المجلس ! كيف يكون فض المجلس مستحيلا بعد امر خديوينا العظيم افاهم أنت مسئولية ما تقول ؟

فاجاب المويلحي بكل ثقة : نعم انا فاهم ! وفاهم جيدا ما قلته : واقدر مسئوليته دون انكار ! فأخذ رياض بما حسبه جراة منكرة وصاح بالنواب هل توافقون على هذا الكلام ما أظن انكم توافقون ؟

ولكن الأصوات الجريئة ترتفع بالموافقــة فقائل هذا راى الجميــع ، وهاتف أنا اوافق بقلبى قبــل لسانى وصائح أوافق المويلحي بك على ما قاله وما سيقوله مقدما.

فغلى الغيظ في نفس رياض وقال منفجرا اذن انتم جميعا عصاة ، ولكن المويلحي يراجعه قائلا لا تغضب يا باشا ، لقد ظهر لك موافقة اخوانى لاقوالى وهم جميعا يعرفون مسئولية ما يقولون ، ثم يناقش امر اسماعيل بحل المجلس مناقشة دستورية فيعلن انه مبنى على غلطة جوهرية فاضــحة ، لأن الحكومــة تستند في حــل المجلس الى مضى ثلاث سنوات من بدء انعقاده ، مع انه لم ينعقد الا بتاريخ ٢٦ ديسمبر سنة ١٨٧٨ ، فلم يمض عليه غير عام وثلاثة اشــهر فحســب ! فكيف اصبحت هذه المدة ثلاث سنوات!

لو ان رياضا كان يفكر بعقل معتدل لتراجع عن موقفه ، وبحث عن تبرير آخر لحل البرلمان ولكنــه آثر اللجاج فصاح بالمويلحي : حســاب غريب يا حضرة النائب ! ان مدة انعقاد المجلس هى بدء النطق الكريم الذى صدر من مولانا الخديوى المعظم في حفلة طنطا، واحسب حضرتك تجد أن المدة فاتت بكثير !

***

رد متهافت كاذب ، يبعث على السخرية والتهكم! وقد قابله المويلحي بما يتطلبه من اشمئزاز واستهزاء فقال ساخرا : ما هذا الكلام ياعطوفة الباشا ما لنا وحفلة طنطا الآن وما مقــدار رســميتها في تقــدير القانون ! عزومة شرفها سمو الجناب العالى وتناول الطعام مع المدعوين هناك ، وقيل فيها خطب وكلام ولم يدون حرف مما قيل بطريقة رسمية او غــير رسمية يفيد أن كلام سموه كان امرا عاليا له قيمة القانون، ويؤثر في قيمة انعقاد مجلس شورى النواب وتحديد تلك المدة الــى هذا كلاما غريبا من عطوفتكم لا مثا كما تدعون !!

وتندر عضو ثان فصاح اتركوا عزومة طنطا وما حصل فيها ، وخلو زكايب الهم مقفولة كما يقول المثل العامى !!

احرج ناظر الداخلية ، وكبا به ضيق تفكيره فقال مغيظا « يعنى حضراتكم تقلدون نواب فرنسا الذين ثاروا على حكومتهم ! يعنى حضراتكم الآن بعمائمكم وجببكم مثل نواب امريكا واوربا !

❊ ❊ ❊

وما كاد يتم عبارته حتى جابهه احمد العدوى وعبد الشهيد بطرس وأحمد الصوفانى بعبارات جارحة دمغته بالوقاحة والانحطاط ومهدت السبيل لعبد السلام المويلحى فالقى دفاعا كريما عن نفسه وعن زملائه ومواطنيه ثم صاح بالباشا :

ارايت عاقبة تسرعك فى الكلام وعدم ضبطك لعواطفك ! اعلم ان المسالة ليست مسالة زى وثياب بل المسالة مسالة عقول تفهم جيدا رغائب الأمة التى انابتهم عنها ، وأعلم يا باشا ان اهل وطنك ليسوا باقل شعورا بما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات من الأمم الأخرى التى هى فى الواقع اقل منا مالا ، وعمرانا اليس من العيب ان تجمع بالامس اصحاب الجرائد لتقول لهم عن نواب امتك انهم جهلاء وهمج ! اننا جميعا قرانا فى الأزهر الشريف وفى غيره المعقول جميعه من علوم البلاغة والجدل والفلسفة والأصول والمنطق وكذلك قرانا المنقول من التفسير والحديث والفقه والتوحيد فماذا قرائه وتعلمته انت من كل ذلك !

فصاح الشيخ الصباحى أحد علماء الأزهر متهكما :

تعلم عطوفة الباشا فى أورطة المفرورة !

فخرج رياض منسحبا وهو يشتم ويسب صائحا انتم عصاة ! انتم ثوار ! ثم اعلن النواب اعتصامهم بالمجلس ، وجعلوا الجلسة منعقدة ليل نهار ! وهو قرار عجيب لا سابقة له فى التاريخ العالمى ! فكان ثلث الاعضاء يبقى بالتناوب ويمضى الآخرون لمزاولة اعمالهم ثم يعودون ! وكانت رجة هائلة اسقطت الوزارة مرغمة وتالفت وزارة وطنية برياسة الرجل الحازم شريف : وكان اول قرار اصدرته ان امرت باستبقاء المجلس حتى تنتهى مدته القانونية !! ولعل من اكبر مزايا هذه الوزارة انها تخلصت من الوزيرين الأجنبيين وقادت البلاد وجهة دستورية لائقة ، اذ اصرت على أن يكون مجلس الوزراء مسئولا مسئولية فعلية امام مجلس شورى النواب واستصدرت قرارا لا يقبل التاويل من اسماعيل بذلك ! بل ان شريفا قد رفض مبدأ قبول الوزارة قبل ان ينص اسماعيل على مسئولية وزارته امام البرلمان فى خطاب التكليف بالرياسة! وبذلك اصبح شريف ابا الدستور فى مصر وكان الأداة الاولى فى تنفيذ آراء جمال الدين

❊ ❊ ❊

ويستطيع من يقرأ محاضر هذا المجلس الأبى ان يلمس اباء اعضائه واصرارهم الاكيد على التمسك بحقوقهم فى محاسبة الوزارة وتقرير مسئوليتها امام النواب ، كما يستطيع من يقرا صحف هذا العهد ان يطالع مقالات افذاذ منهم عن الحقوق المقررة ! فى دول العالم لنواب الأمم والسنة الشعوب ! واناس كهؤلاء لا يعقل ان يكونوا كما تصورهم الأراجيف يحاذرون أن يجلسوا فى مقاعد اليسار كيلا يحسبوا من معارضى اسماعيل !! ومهما قيل عن اثر الحركة الباسلة التى قام بها جمال الدين فى شحذ الهمم وتنوير الأذهان فان الرجل العظيم قد وجد الأرض الخصبة الجيدة فغرس بها بذور الاصلاح والتوجيه فآتت أكلها ضعفين ، ولو كانت الارض كما اراد ان يتحدث عنها المرجفون سبخة لا تنبت ، ما تهيأ للنفوس ان تجتمع على ضرورة التخلص من الحكم الفردى فى الداخل مهما يسانده من حيل المستعمرين ومكائد الدائنين !! على ان حب الحرية مما يجرى فى النفوس الأصيلة مجرى الدم فى العروق فاذا نهض بمواجهة الاستبداد اناس كعبد السلام المويلحى وزملائه ممن فطروا على الكرامة ، ودرسوا فى الازهر تعاليم الاسلام فى المساواة والحرية والاخاء فذلك مما يتوقع حدوثه دون ان يكون فى حيز المحال كما شاءت اوهام المغرضين !

محمد رجب البيومى

لهيب وأمواج

ديوان شريفة فتحي

بقلم : العوضي الوكيل

يجتمع لشريفة فتحي في هذا الديوان مزيتان من مزايا الفنون هما مزية التعبير بالكلمة المنغومة ، ومزية التعبير بالصورة المرسومة. فاذا كانت المزيتان متعلقتين بشخصية واحدة فما احرى الديوان -اذن- ان يكون صورة ذات وجهين لشيء واحد هو جوهر الفن في نفس شريفة فتحي .

هذه ناحية ، وثمة ناحية أخرى يجدر الحديث عنها حين التعرض لهذا الديوان هي ناحية الصدق في التعبير عن الانوثة الكاملة ، فان شريفة فتحي قد جاست خلال نفسها الشاعرة ثم نقلت الينا روعا من مناظر الانوثة الشاعرة في ارقى صورها ، واكمل حالاتها .

وفي عدوة الطريق بين هاتين الناحيتين تقف شريفة فتحي بشاعريتها وشفافية نفسها ، وبصورها وأحلامها ، وخواطر دنياها .

وخطوط شريفة فتحي في رسومها خطوط واضحة لا ابهام فيها ، ولا تغلفها كما تغلف كثيرا من الصور الحديثة غيابات التجريد والرمز والتهويل والخيال .

أما قصائدها فلا تقل وضوحا واشراقا عن صورها فانها هي الاخرى لا ابهام فيها ولا تغلفها كما تغلف بعض الاشعار الحديثة غيابات من شطط الخيال أو شطط التعبير .

وكنت قد كتبت منذ حين في الرسالة عدة مقالات ذكرت فيها الشعر النسوي ومقامه في دنيا الشعر الحديث ، وقلت ان هذا اللون من الشعر قد اثبت بصورة قاطعة وحاسمة وجوده في مهرجان الشعر السادس الذي عقد بمدينة الاسكندرية .

وهاأنذا اليوم اعيد ماقلت وأؤكده ، لمناسبة ظهور هذا الديوان ، وديوان آخر للشاعرة روحية القليني ربما تحدثنا عنه في مقال تال .

تتناول الشاعرة في ديوانها كثيرا من المعاني الانسانية العامة التي لاخصوصية فيها ، مثل مقطوعات « انسان » و « تامل » و « حبي » «ودموع مشرقة » ولكنها معذلك تتناولها بخصوصية الصياغة فتضفي عليها من ذات نفسها اذ تصوغها صياغة جديدة متألقة ، وذلك كما يقول الاستاذ عزيز اباظة في مقدمة الديوان صنع الطبع القادر الذي يضع اللون الى جانب لون آخر يوافقه ، ويرصف اللفظ الى خاصرة لفظ يصادقه ويسلك المعنى الى معنى آخر يطابقه ثم يلاحقه !

ولئن وجب التمثيل لما نقول فان اولى مقطوعات الديوان وقصائده شاهد عدل . استمع الى شريفة فتحي اذ تقول :

« لست الرجيم ولا الملاك وانما

بعضي على ارضي وبعضي في السما

ويل لنور في السماء اذا ارتمى

ارضا وطوبى للتراب اذا سما »

واستمع اليها تقول بعنوان من الايام :

« عاينت من شر الصداقة ماكفى
وشربت كاس الغدر من كاس الوفا
فاذا خشيت اذى عدوك مرة
فاحذر صديقك مرتين اذا صفا »

ومع ذلك فالمعاني ذات الخصوصية ، والافكار

الذاتية تكثر بين دفتى الديوان حتى تقيم من ذلك نهجا من الشعر النسائي جديدا ، ومن امثلة ذلك أنشودة الام الى طفلها الحبيب ، وقصيدة سراب ، وبلا خطيئة ، وعاطفة وعاصفة التى تقول فيها :

« ورأيت نفسى تشتهى
فدعوت ربى خائفه
ونهضت اكبح نزوتى
وارد نفسى اللاهفه
قالوا انحنى هيا انحنى
حتى تمر العاصفه
قلت اتركونى اننى
للنفس اصمد واقفه
فاذا انحنيت لعاصفه
فاصمد امام العاطفه »

ويملأ الشعر الوطنى جوانب من ديوان شاعرتنا، ومن أمثلته « ثورتنا » و « أنشودة مجد » «ورسالة الى فلسطين » و « المارد الأسمر » و « صيحة عربية » وشريفة لا تفارقها طبيعتها النسوية فى شعر الحماس والوطنية ، فهى امرأة قبل أن تكون شاعرة ، ومن ثم نرى فى شعرها الوطنى نوعا من الهدوء ، والزهو بالنصر ، والفخر بالرجال الاشداء مما يناسب ولا ريب الطبيعة الأنثوية ويدل أصرح الدلالة على مزية الصدق فى تعبيرها .

وثمة لفتة فى الديوان جديرة بتامل الناقد تلك هى أن الشاعرة تفترض ان لها خصوما يتشككون ويشككون فى موهبتها فتثور وتقتبس لهم آية من كتاب الله « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » ثم تصرخ :

قولوا .. تجنوا واظلمونى وافتروا
الحق اقوى من اباطيل الصغار
قالوا استعارت فنها ياويحهم
الفن ابن الروح كيف اذن يعار
انا لن ادافع او ارد سهامكم
قسما بربى ان فنى لن يضار !
ولتقذفونى من حجارة كيدكم
فانا سانظم لى بها اكليل غار
لاتقذف الاحجار يوما دوحة
الا التى قد اينعت اشهى الثمار

ولسنا مع الشاعرة فى ثورتها فان فنها مفصل على قد نفسها تفصيلا يفطن اليه ذو البصر والفهم فالاستعارة هنا كلام لا ينهض عليه اى دليل .

« العوضى الوكيل »

لا شيء

للشاعر : يس الفيل

أى ربح بك الفت فى دروبى ؟!
يا سهادا لفنى ، ادمى شحوبى
اننى عن امسنا تبت ... فتوبى
واذا لم ....
.. .. فاقرئى قصة عمر
ضاع يوما .. واغفرى لى .. يا ذنوبى ..

***

فى ربى عينيك .. قلبى .. قد راى يوما طريقه
عبر واد ضاحك .. غنى .. بدنياك الوريقه
لم يعد يسال .. انى سرتما .. اين الحقيقه
اين امضى .. والام السير .. حتى ضل عنى
تاركا لى نصف عمرى ، تاركا حولى حريقه

***

يا دروب الشك ، يا الهام فنى
لم ازل احيا ، واحيا ، واغنى
حول صبارى ، على اشلاء ظنى
ضاع نصف العمر بحثا عن حطام
فى توابيت الليالى تاه منى ..

***

ها هنا .. يا امس .. يوما .. قد رايت المهزله
فى قلبى المجروح ، طعنات ، اصابت مقتله
يا كم بكى دمه البرىء .. هنا .. بثغر المقصله
لكن دربى .. انقذ المشنوق ، لف جراحه
ارايت اية صورة لك فيه ؟ ، اية منزله

***

لا شىء .. غير بقية تحيا معى
تغتال كل هوى يعطر اضلعى
هى قد تثور ، فلا تحرك ادمعى
ذكراك .. يا ذكرى سهادى اننى
احترقت فى دربى غراما .. لا يعى



تعقيبات

بقلم : عباس خضر

حق يراد به شيء آخر

هذه الزوبعة التي يثيرها **الدكتور لويس عوض المستشار الثقافي لمؤسسة الأهرام** ، ويخدع بعض الزملاء للمشاركة فيها ، ويحرج بعضهم بقضايا ومبادىء عامة مسلم بها كي يوقعوا على «عرائضها» ويوهم الجميع بأن تلك المبادىء في خطر داهم كي يهبوا للدفاع عنها ..

تلك الزوبعة .. ما حقيقتها وما اهدافها ؟

تنظر – قبل أن نلقى الضوء على حقيقة الزوبعة واهدافها – في تلك القضايا والمبادىء التي يتذرع بها في الخداع والاحراج والايهام ..

الشعر الجديد ؟ هل هو يتحمس للشعر الجديد حقا من أجل كونه تجربة أدبية جديدة في ذاتها ؟

أليس هو شاعرا كما يزعم في مجلة « حوار » الصهيونية العالمية بنشره فيها القصائد والملاحم التي ينظمها على الأوزان « التقليدية » ؟ **لماذا اذن – ما دام متحمسا للشعر الجديد – لا ينظم على مقتضى الشعر الجديد ؟**

هل تتخذ مناصرة الشعر الجديد بضاعة للاستهلاك المحلي تستجلب الأنصار ، أما الشعر او النظم التقليدي فبضاعة أخرى تصدر الى صندوق القمامة في بيروت : مجلة حوار .. ؟

وأية قمامة اقذر من هذا الذي يقوله لويس عوض في تلك المجلة على لسان « العذراء » :

فذاق طعم الحب من ثغرى ومن جسدى
واخصبنى بالته فذقت حلاوة الوتد !!

هل يؤمن من يقول هذا بالقيم المسيحية نفسها .. ؟

ولنعد الى ايمانه بالشعر الجديد .. فنسأل : أهو يتحمس حقا لسواد عيونه أم لشيء آخر سنعرفه .. ؟

ماذا صنع لأصحاب هذا الشعر ؟ هل هو ينحصر في صلاح عبد الصبور ؟ انني اقدر صلاح عبد الصبور كشاعر عاني التجربة الشعرية في الوزن التقليدي ثم انبعث منها الى الشكل الجديد ووفق في كليهما ، **ولكن هل هو كل شيء في الميدان** .. حتى تقتصر عليه الرعاية اللويسية .. ولا بأس بلفتة بين وقت وآخر الى احمد عبد المعطي حجازي مع تقديري له كزميله عبد الصبور ؟!

ولويس عوض يقول انه « يؤمن » بالشعر العامي ولكنه يصون منه صفحات الأهرام .. **فلماذا اذن ينشر منه لصلاح جاهين ؟ أهذا حلال** وذاك حرام ؟ أم لأن صلاح جاهين – مع تقديري له أيضا – ممن تشملهم الرعاية المستشارية ذات الأهداف البعيدة ... عن الشعر الجديد والشعر العامي وكل ما يمت الى الأدب لذات الأدب ؟

وبقية القضايا والمبادىء .. **هل يؤمن بها هي الأخرى ؟**

حرية التعبير وحق التجربة الفنية ونشرها وواجب الأديب في المجتمع الاشتراكي ... الخ ؟

ان كان يؤمن بهذه القضايا حقا فأين صدى ايمانه ؟ هل أفسح في الصفحات الأدبية والفنية بالأهرام لأقلام حرة وتجارب جديدة ، هؤلاء مثلا كتاب القصة القصيرة الذين يملئون حياتنا الادبية بانتاجهم والذين يحاولون تجارب جديدة .. هل شملتهم « المستشارية » بنظرة ؟ **أليس في البلد غير نجيب محفوظ – مع تقديري طبعا – يكتب قصة قصيرة حتى تقتصر جريدة الشعب الكبرى عليه في نشر القصة القصيرة ؟**

ان القضايا والمبادىء التي تتحمس لها المستشارية – لشيء آخر سنعرفه فيما بعد – تتضمن موقف الدولة متمثلة في أجهزة النشر بها من حرية وحق التجربة ... الخ .

انني أستطيع أن أقول بأن حرية التعبير وحق

التجربة مكفولان في كل مكان بالجمهورية العربية المتحدة ما عدا « دائرة المستشارية اللويسية » .

في كل جهاز من أجهزة النشر والعرض التي توفرها الدولة يقول من يشاء ما يشاء في الحدود الادبية والفنيـة وفي الاطار القومي واللون الذي يختص به الجهاز ، وهذا أمر ملحوظ لا أظنه يحتاج الى بيان أو تدليل ـ فيما عدا « الدائرة المستشارية» التي يزاول السيد المستشار فيها سلطته كأي بيروقراطي عريق .. **ينادي في جمعية الأدباء بواجب الأديب في المجتمع الاشتراكي ويهدر في « الدائرة المستشارية » قيم المجتمع الاشتراكي كالعدالة وتكافؤ الفرص والكفاية .. الا اذا اعتبرنا التسبيح بمسرحيات « بكت » و « أونسكو » وتحطيم التراث العربي وتشويه أبي العلاء المعري (على النحو الذي يبينه الاستاذ محمود شاكر) من الكفاية الانتاجية الثقافية التي تقدمها « الدائرة المستشارية» للمجتمع الاشتراكي .. ومن « الطعام الفكري » الذي تهيئه « الدائرة » لمئات الآلاف من القراء طبقا لمبدأ الالتزام الاجتماعي !!**

لا ، عد عن ذلك كله .. عن الشعر الجديد وحرية التعبير وحق التجربة وحق الأديب وواجبه في المجتمع الاشتراكي ... الخ . فما هو من هم السيد المستشار ، وما السيد المستشار منه في شيء .

انه « جائع » الى « شيء »

مسكين يقرصه الجوع ..

النجدة .. النجدة ..

أيهـا الأدباء ، هيـا الى جمعية الأدباء ، حرية التعبير وبقية المبادىء في خطر .. كل من يستطيع شيئا يفعله .. الهجوم على الذين لا يتحركون لنجدة « الفارس الكيشوتي » ولا يريدون أن يحققوا له ذلك « **الشيء** » ، الهجوم ولو بالتوقيع اذا لم تستطع الذهاب الى الميدان .. أنت أديب محايد تحرص على ارضاء الجميع ، وأنت رجل في حالك لا تريد أن تقحم نفسك في « الهيصة المستشارية » ، لا بأس ، وقع فقط على طلب اجتماع الجمعية العمومية ، ألست تريد حرية التعبير ؟ ألست تغار على التجربة الجديدة ؟ ماذا حدث لهذه أو تلك ؟ (ومالوا ؟) زيادة الخير خيرين ..

ان المستشار جائع .. أدركوه ولو ببلغة تمسك رمقه ..

قولوا في الاجتماع : نريد اعادة تكوين المجلس الأعلى ولجانه بحيث يشمل ممثل الاتجاهات المختلفة في الأدب والفن .. وكذلك مجلس ادارة جمعية الأدباء ، كيف تقوم هذه الهيئات ولا يكون فيها لويس عوض .. ممثل الاتجاهات كلها وجامع المجد الأدبي من أطرافه .. غربا وشرقا .. مندوب أوربا في مصر ، ومندوب الاتحاد الاشتراكي (متمثلا في مؤسسة الاهـرام) في أوربا حيث يحضر ميلاد شكسبير ، ثم يعود ليعيث فسادا في التراث العربي على حساب الاتحاد الاشتراكي أيضا .. وشاعر الوقاحة في مجلة حوار .. ؟

يا ناس .. أليس في قلوبكم رحمـة ؟ انتخبوه عضوا بمجلس الادارة .. أعطوه مقعدا في المجلس الأعلى .. رشحوه لمجمع اللغة العربية . سدوا فمه الجائع لا بأي شيء .. بل بكل شيء .. اجعلوه امبراطورا على الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

وانتم يا رجـال المستشارية ونساءهـا .. **ان المستشارية تريد أن توسع رقعتها وتمد اطراف أخطبوطها** .. فهيا .. اخطبوا ، طالبوا برأس لجنة الشعر ، هاجموا القديم باسم الجديد وان لم تكونوا من الجديد في شيء .. احترسـوا .. قولوا انكم لا تنكرون التراث ولكنكم تريدون أن تتحركوا من التراث في اطار حضاري جديد .. **هه ! حلوة هذه ! وهي مضحكة أيضا ، فانتم لا تعرفون التراث حتى تتحركوا منه .. (تشقلبوا) في الهواء .. نادوا بالخبز الفكري للملايين .. ليس مهما انكم لاتنتجون هذا الخبز .. نادوا والسلام !**

هه ! يا خسارة .. انكشـفنا .. الأغلبية الساحقة في الجمعية لم تنطل عليهـا الاعيبنا .. مقترحاتنا رفضت .. هذان القراران اللذان قررتهما الجمعية ليسـا هما ما نريد .. حرية التعبير وحق التجربة ... الخ . وسائل فقط الى ما نريد .. ومذكرة لجنة الشعر لاتستعدي السلطات ولاتحجر على الشعر الجديد ، وماذا يعنينـا من ذلك ؟ فلتستعد اللجنة ولتحجر .. هذه مسألة جزئية ، **اننا نريد كليات الامور ، المستشارية جائعة ، اسعفوها ببلغة تتبلغ بهـا .. انهـا تريد أن توسع رقعتها وتمد أخطبوطها ...**

لم تنفع الجمعية العموميـة .. لا تيأسـوا ، اكتبوا ، ارسموا .. قولوا ان الاجتماع لا يزال مفتوحا .. السكرتير العام كان « مواليا » انه رجل قديم ! يوسف السـباعي يمثل القديم المتحجر ويقف في وجه الجديد !!

قولوهـا ولا تخجلوا .. قولوا ان الاجتماع كان غير قانوني وان أخذ الاصوات كان غير سليم لأن الحاضرين كانوا من المرءوسين وذوي العلاقات الشخصية .. **نعم انتم اما موظفون في «المستشارية»**

واما ذوو علاقات اخرى بشخصى . ولكن «ابلوهم» واجعلوا ما فيكم فيهم .. وقولوا : كان هناك اشخاص غير اعضاء . وانتم فى هذه المرة صادقون فقد كان هؤلاء بيننا نحن .. كان هناك صلاح جاهين وملك عبد العزيز وليسا عضوين .

تقدموا أيها الجنود .. ازعموا أن الجديد (الذى هو أنتم وان لم تكونوه) يريد ان « **يتواجد** » مع القديم .. فى لجنة الشعر وفى المهرجانات .

لا تخجلوا من تفاهة المطلب .. ولا من المفارقة فى أنكم تطلبونه وفى يدكم الصحف الكبرى ومنابرها .. فالمهم هو انتى جائع .. اريد بلغة اتبلغ بها .

نعم . قولوا كل شىء ولا تخجلوا . ان أحدا لا يدرى .. قولوا ان يوسف السباعى وعبد الحليم عبد الله وعلى باكثير ومحمود حسن اسماعيل ومحمود البدوى وغيرهم ممن يقفون حجر عثرة فى سبيل حصول على « **الشىء** » الذى أريده – لا يرتبطون بالشعب ولا يخدمون المجتمع الاشتراكى بادبهم .. كما أخدمه أنا .. **أنا لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام وعضو جمعية الأدباء التى اقاطعها فى الصفحات الأدبية بالأهرام ولا أنشر حتى أخبار ندواتها .. عملا بالقول المأثور : « فيها ولا اخفيها » أو كما نقول : عملا بحرية « التواجد » !**

نسيت أن أقول لكم بماذا أخدم المجتمع الاشتراكى وباية وسيلة أرتبط بالشعب .. وعلى يخفى عليكم ذلك ؟ **ألستم ترونني اقدم « الخبز الفكرى » للملايين من العمال والفلاحين على مائدة بيكت واونسكو و ت .س. اليوت ، وعلى جثة أبى العلاء المعرى وابن خلدون ، وفى صندوق القمامة ببيروت حيث اقدم شعرى فى العذراء والوتد ؟ !!**

هاأنتم أولاء ترونني لا أخجل .. أنا لويس عوض المستشار الثقافى لمؤسسة الأهرام وعضو جمعية الأدباء (حاليا) والطالب من الله (ولا يكثر على الله) ان أكون فى المستقبل القريب عضوا بمجلس ادارة جمعية الأدباء وعضوا بالمجلس الأعلى لرعاية الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية .

حاشية سرية : أنا المذكور اعلاه (لويس عوض المستشار .. الخ) مستعد أن أكون شاعرا تقليديا جدا كما ترون شعرى التقليدى فى مجلة « حوار » وأن أكون مؤدبا اذا أخذتمونى عضوا فى لجنة الشعر .

عباس خضر

* أشكر الأديبة « بديعة محمد سمح الله » على تهنئتها بعودة أستاذنا الكبير **أحمد حسن الزيات** ، وعلى حسن رأيها فيما نكتبه . وذلك فى رسالتها الكريمة الرقيقة التى تسأل فيها : لماذا لم تزودنا « الرسالة » بأخبار أديبنا الزيات على صفحاتها كل أسبوع فى أثناء غيبته عن الوطن فى أسبانيا ؟ وتقول : « عندما يسافر فنان أو فنانة من غير الحقل الادبى يطبلون له ويزمرون ، ويملئون أعمدة من بعض الصحف والمجلات بالفارغ والهزيل من الأخبار التى لا نفع فيها على الاطلاق » .

وأقول للأديبة الكريمة : **ليس ذلك من منهج الرسالة ، ولا هو مما يرغب فيه رئيس تحريرها . ولعل فى قولها الثانى – عن الطبل والزمر وعدم النفع – جواب سؤالها الأول ..**

* يلاحظ أن برنامج « **مع النقاد** » بالبرنامج الثانى للاذاعة يجارى نقاد الصحف الادباء فى زيادة الاهتمام بالنقد المسرحى وقلة الاهتمام بالكتاب . **وقد بلغ فى ذلك الى حد اذاعة تسجيل النقد المسرحى الواحد غير مرة .. كما حدث فى الاسبوعين الأخيرين من اعادة اذاعة تسجيل الندوة التى نوقشت فيها مسرحية « الخرتيت » .**

أفلا يدرى برنامج « مع النقاد » بكل هذه الكتب التى تصدر والتى يقام لها «أسبوع الكتاب العربى»؟ **وهل تحول – بمجاراته لنقاد الصحف – الى خرتيت!**

* **الاستاذ على أمين** صديقى ، وأنا من أصدقاء « **فكرته** » الكثيرين . ولهذا وذاك أشير عليه ألا يجمع بين « ضرتين » : فكرة الصباح فى الاخبار ، وهى القديمة الحلوة ، وفكرة المساء فى اذاعة الشرق الأوسط التى تتسكع آخر الليل منهوكة القوى ..

يا أخى ، طلق الثانية وحسبك واحدة ..

عباس خضر



● اسرة اللغة العربية بجامعة الاسكندرية تقيم ندوة القصة يوم ٣٠ ديسمبر بعنوان «الجنس ومفهوم الواقعية في القصة المصرية المعاصرة . يشترك فيها فتحي الابياري . الدكتور محمد زكي العشماوي . الدكتور محمد هدارة . يدير الندوة عبد العزيز عبد ربه .

***

● «الارض العالية» مسرحية شعرية للشاعر عبده بدوي يقدمها مسرح الحكيم في شهر فبراير القادم .

***

● نادي القصة بالاسكندرية .. يعلن عن مسابقة قصصية بمناسبة عقد اول مهرجان قصصي يقيمه النادي في الشهر القادم المسابقة خاصة بالقصة القصيرة فقط . يمكن ارسال القصص الى المشرف الثقافي بدار الثقافة طريق الحرية رقم ١ بالاسكندرية .

***

● تقام في الساعة السابعة من مساء الأربعاء القادم بنادي القصة وجمعية الأدباء ندوة لمناقشة ديوان الشاعر محمد الجيار . يشترك فيها الدكتور عبد القادر القط . والدكتور محمد النويهي .

***

● يناقش في الجمعية الادبية مساء الثلاثاء ٢٩ ديسمبر ١٩٦٤ كتاب «قضايا الشعر الجديد» للدكتور محمد النويهي ، يقدم الندوة الأستاذ عبد الفتاح الديدي ، ويشترك في المناقشة الدكاترة والاساتذة شوقي ضيف ـ يوسف خليفة ـ احمد كمال زكي ـ صلاح عبد الصبور *

● يعقد المكتب الثقافي الدائم بمحافظة الدقهلية ندوة لمناقشة مسرحية «هاروت وماروت» للاستاذ علي احمد باكثير وقد دعي الى الاشتراك في المناقشة الأستاذ عباس خضر ويحضرها المؤلف الاستاذ باكثير ، وذلك بمدرج مدرسة ابن لقمان بالمنصورة في الساعة السادسة من مساء يوم الاربعاء القادم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٦٤ .

***

● « احاسيس وانطباعات » كتاب صدر للاديب اميل شوقي عن مؤسسة نشر سلسلة ادب الخواطر . قدمت هذا الكتاب الدكتورة سهير القلماوي .

***

● « الحوماني حياته وادبه » كتاب جديد بقلم ابنته الآنسة سلوى الحوماني يصدر في الذكرى الأول لوفاته .

حول الأدب الشعري

بقلم عبده بدوى

معاً جنباً الى جنب

لا أظن أن أحدا كان يعتقد أن الثورة الأخيرة حول مذكرة الشعر ، كان المقصود منها هو الخوف من الوصاية على شعر التفعيلة ، أو توسيع الرقعة التى يتحرك عليها الشعر المتجدد فى مجلة الشعر ، أو حصر المشكلة تماما فى قضية الشعر .. ذلك لأن مما لاشك فيه الآن — **والحديث على المستوى الأدبى لا السياسى** — وجود جبهة طويلة ضارية فى حقل الفكر ، وأن هذه الجبهة تتمدد ، وتحتل المواقع ، وتعمل على «التصفية» من كافة الاشكال التى لاتتفق معها ، وفى الوقت نفسه لا يستطيع أحد أن يغفل نشاط هذه الجبهة وحيويتها وتخطيطها ووضعها دائما قلما فى المعسكر المواجه ، واستعانتها بكافة الأسلحة من أجل الانتصار .

واذا كانت هذه الجبهة المتحركة تلم بين ذراعيها الحياة ، وتعتبر الوجود معركة لا تنتهى ، وتسير فى عزم المقاتل ، وجسارة الشجاع ، الا أن مما لا شك فيه أنها تترك فى فترات « الهدنة » الميدان الواسع الفسيح لطائفة من المناوشين اذا كانوا يتميزون بشىء ، فان هذا الشىء لابد أن يكون العديد من الرءوس على الأبدان ، والعديد من القلوب فى الصدور ، ذلك لأن اية دراسة لكل مايقدمونه توضح بغموض أنهم لا يقدمون شيئا ذا بال للجبهة المتحركة التى يستندون اليها ، وتوضح بجلاء أنهم لا ينالون من الفريق الآخر الا مايخدم اشياء سحيقة فى نفوسهم !

والفريق الآخر هنا قد لا يمثل جبهة بقدر مايمثل قوة كبيرة ، نسمع بين الحين والآخر من يناوش واحدا منها ، أو من يضع عليه شارة تقول بالتخلف، أو البعد عن الناس ، أو الترفع ، أو من يطلق صيحة فى مواجهتهم تقول « من ليس معنا فهو علينا » .

ولقد يبدو شىء من هذا طبيعيا حين نعرف أن الفريقين قد عاشا فترة كبيرة فى شبه عزلة، ذلك لان الجبهة الأولى كانت مشغولة بالتخطيط ، والحركة ، والاقتحام ، بينما كان الفريق الآخر مشغولا بنفسه ، او بما يعكف عليه فى ميادين الفكر ، أو بما يعطى له من قضايا ، دون أن تكون عنده الصبوة والحماس لأن يعدو ثم يستخلص لنفسه شيئا فى عملية الزحام

على الحياة ، وفى فترة « العرض » للقوى الموجودة فى ميدان الفكر .

واذا كان لا يمكن الحكم بصدق على كلتا القوتين لأن جوهر كل منهما مازال مكسوا بآثار الصراع التى يثيرها كل على الآخر ، ولأن كلا منهما مخلص للوطن وللواقع الذى يعيشه هذا الوطن من وجهتى نظر تفترقان فى أول الأمر ، ولكنهما سرعان ما تلتقيان ، ولانه ربما تكون أقوى الاصوات التى تتردد من الجانبين هى الاصوات الزائفة .. أقول انه اذا كان لا يمكن الحكم بصدق على كلتا القوتين، فان مما لا شك فيه امكان الحكم على طائفة « **المتطوعين المناوشين** » الذين نراهم يستندون بظهورهم الى الجبهة الاولى ، ثم يحتلون المكان الفاصل بين الجبهتين ، ثم يأخذون فى تسميم الآبار، واصدار الأحكام الجائرة ظنا منهم أن هذه الأحكام الغريبة ترضى الفريق الرابض ، وتغضب الفريق المشتت .

ولقد سمعنا من هؤلاء « المتطوعين » أشياء غريبة لايقصد منها الا وضع النار فى دائرة الكلمة ، فقد رأينا أعينهم لا تقع الا على أخطاء التطبيق فى الحضارة العربية ، ورأينا أقلامهم لا تغمس الا فيما يكتبه المستشرقون ، ورأينا آذانهم لا تعدو الا وراء الأصوات الغريبة التى تعمل على تفريغ الشخصية العربية المعاصرة من كافة مقوماتها ، وهم وان اتفقوا فيما بينهم على هذا الا أنهم كانوا صادقين مع أنفسهم بحيث تردد صوتهم مرة من اليمين ومرة من اليسار ، وهم لا يكفون عن تقل أفكارهم بين اليمين واليسار مادام الغرض الحقيقى لهم ــ وهو ضرب الحضارة العربية ــ يمكن تنفيذه فى اليمين أو اليسار أو مابين اليمين واليسار !

واذا تركنا هؤلاء جانبا وحدقنا فى الجبهتين الحقيقيتين فى المعركة ، فانه لابد أن يثار عدد من الأسئلة التى تقول :

هل لابد من الصدام بين هاتين القوتين ؟

هل صحيح أن الحق كله مع جبهة والباطل كله مع الجبهة الأخرى ؟

هل صحيح تلك الكلمات التى يتهامس بها كل من الجانبين الأدبيين والتى تدور حول التصفية الدموية ، والعزل الفكرى ، والنسف لكل مايحمل وجها عربيا ، والتبعية الفكرية ، ومصادرة المشاعر ، والاكتفاء بوردة واحدة فى الزهرية بدل العديد من الورود ؟

وهل صحيح ان مايطبق فى الصراعات السياسية لابد من تطبيقه فى عالم الفكر ؟

أسئلة كثيرة تدور ويشغل بها الأدباء ، فاذا ما كتبوا رأينا أثر المرارة فيما يكتبون ، ورأينا شيئا كالشعر وليس له وهج الشعر ، وشيئا كالقصة وليس له معمار القصة ، وشيئا كالمقال وليس فيه عمق المقال .. حتى ليمكن القول بان كل شىء يبدو الآن مجهدا وممتلئا بالفراغ .

فالشعراء الآن يتحولون الى نقاد ليزحزحوا السيف عن رءوسهم ، وكل كلمة لا يبدو فيها الآن الق الفجر بقدر مايبدو فيها خوف الظلمة ، وعلى المستوى الانسانى اذا تلاقى أديبان هزت يد أخرى، وتناثر كلام بليد على صدى قبلتين زائفتين ، فاذا ما انصرف كل الى قلمه وجد أنه ينقر به جبهة عين أخيه ، ووجد أنه يتعامل مع الغضب والترصد والخوف ، ووجد أنه فى نهاية الأمر يثير من الغبار أكثر مما يثير من الابداع ، ويتعامل مع الحقد أكثر مما يتعامل مع الحب .

على أن مما لايشك فيه أحد ــ **باستثناء المتطوعين المناوشين** ــ أن الأغلبية الساحقة فى الجبهتين تنطوى على حب الوطن وترغب فى ازدهاره ، كما لا يشك أحد فى ايمانهما بالتطور كضرورة حتمية ، وبأن هذا التطور لا يمكن لأحد أن يقف فى طريقه .. ولكن الغلو من جبهة يصيب الجبهة الأخرى بالدوار ، والرغبة فى المحافظة من فئة يجعل الأخرى تغوص فى أعماق الثانية لتزلزلها ، وتشهر بها ، فاذا ماحاول أحد التوفيق بين الجبهتين صار « الرق الموالس » ، وأصبح من المعوقين لأنه يقف دون أن تغوص واحدة فى دماء الأخرى !

ولقد كان اللقاء الذى تم أخيرا فى جمعية الأدباء يضم رغبة أكيدة فى اقرار السلام بين أبناء الأسرة الواحدة التى تضم ثلاثة أجيال ، الا ان ممثلى « لجنة الشعر » ، ما كادوا يقولون انهم ما كانوا يقصدون الا الى رفع الظلم عن تجارب مايقرب من الفى عام ، حتى سمعت أصوات ترفض كلمات التهدئة ، ثم علت النبرة فطالبت بسحب المذكرة ، ثم علت أكثر بالمطالبة بحل اللجنة ، ثم علت أكثر وأكثر حين ظهر أن قضية الشعر قضية ثانوية ، اما القضية الأولى

فهى حق الصراع بين الفريقين ، وظهر واضحا ان من يملك السيف لابد أن يضرب به ، وانه اذا كان لا يحــق لأحـد ان يطالب بمكان فى الارض التى اكتسبت ، فان من حــق المالكين لهـذه الأرض أن يطالبوا دائما بحدود جديدة ، وان مايكتسب منها يسور ، وترفع عليه راية تقول « ليس من حق اية كلمة أن تنافس كلمتنا مهما تكن هذه الكلمة » .

وقد يتساءل الكثيرون : ولماذا لا تذوب الخلافات بين هذه الأسرة ، مادامت قد أثبتت اخلاصها للدار الكبيرة فى ظل الاستعمار والملك والاقطاع ، ومادام الخارج عن هـذه الأسرة كان سرعان ما يعــود فلا تنكره عين الجد ، أو يزجره فم الأب ، او تصكه قبضة الأخ .

ان التقــاء المثقفين الآن على مســتوى الاخلاص لنظرية الدولة ، والحضارة التى تتنفس فى أجوائها ستكون شيئا جديدا يزهر الحياة ، ويسمح لبعض القـامات ان ترتفع بعد أن عودت أعيننا فى الفترة الأخيرة على رؤية الأقزام .

ان عملية الالتقــاء « جنبا الى جنب » قد تبدو صعبة التنفيذ فى الســياسة ، ولكنها على المستوى الفكرى لا تبدو صعبة التنفيذ ، ذلك لأن من البديهى أن المفكر الأصيل لا يخون الانسانية ، ولا يسمح لنفسه أن يكون فى منطقة « التحرش » بين جبهتين ، ولأن الاشتغال فى عالم الفكر كما يحتاج الى الحماس يحتاج الى التعقل ، وكما يحتاج الى التوثب ، يحتاج الى الهدوء المتعقل ، ومن عملية الالتقاء هذه يمكن أن تولد « **الشخصية الجديدة** » لانسان العصر .

ان هـذه الشخصــية قد تبدو شخصــية غريبة لا ترتاح اليها العين ، او شخصية مملولة من كثرة التعود على رؤيتها ، ما لم تتم عملية الاخصاب هذه فى ارض العصر ، وما لم يقترن الحماس والتعقل فى ولادة هذه التجربة الجديدة ، التى يمكن بها — فى ظل ظروفنا المواتية — أن يقال ان مصر قد عادت الى انجاب الحضارة لا من اجلها فقط ، ولكن من اجل الانسانية فى كل مكان !

انى لست كبير الأمل الآن فى عملية الالتقاء هذه ، لا لعدم الثقة بين الجبهتين المتصارعتين ، ولكن لأنى ارى الرقعة الفاصلة بين الجبهتين يصر البعض على أن تكون ميدان قتال ، ولأن هذه الرقعة الآن مليئة بالمحرضين والمشبوهين والراغبين فى الخصــام والتدمير والنسف ، ولأن هذا البعض لا يريد ان يعــرف أن الذين ارتفعوا عن الصراعات العقيمة ، والاقتحامات الحاقدة ، وبهلوانية المواقف هم الذين يثرون الحياة كاعمق مايكون الثراء ، فاذا أردت ان تتأمل صفهم الطويل ، فانك بلا شــك ستجد فى مقدمته توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ ، يحيى حقى ، كامل الشناوى .

وليتنا نتمهل فى اتهام بعضنا البعض لعل السنة بعض الشبان الآن كلمات تخطف خطفا مما يكتب وتدور حــول انه ، لابد من التخلص من الوضعية المنطقية ومن الذين يمثلونها ، ولابد من واد الذين يعمقون الوجودية لانها تعرقل التطور ، هذا رجعى ، هذا تقدمى ، اللاقاعدة هى القاعدة ، فلان يمد يده للشرق ، وفلان يمد يده للغرب ، وآخر يمد يدا فى الشرق ويدا فى الغرب ، لابد من الحلول الدموية ، لا فائدة من الحضارة العربية ، الحضارة الحقيقية هى الحضارة المسيحية .. الخ تلك الطلقات السريعة التى تجهد عين الانســان وهو يتتبعها واحدة اثر الأخرى لتستقر فى قلب هذا او قلب ذاك ، وليتنا نتمهل مرتين قبل أن تحشو هذه البنادق التى تكاد تصيب الحياة الادبية بالدوار ان لم تكن اصابته بالفعل .

ومهما يكن من شىء فانه لابد — **بمرور الزمن** — ان يتلاقى الطرفان اللذان يمثلان التحمس للحيــاة والتأمل للحياة ، وفى تصــورى ان عملية الالتحام بينهما لن تكون بالصعوبة التى يروجها المناوشون ، أصحاب الوجوه العديدة على الجسم الواحد ، ذلك انا فى أشد الحاجة الى كل من الطرفين ، ولأننا على حد تعبير الشاعر الافريقى ليوبولد سيدار سنغور فى حاجة الى العظام اليابسة والزيت الذى يجب ان يمر خلالها .

ويوم ان يتم هذا اللقاء سيجد الفريقان ان العزلة كان يمكن أن تقتل كلا منهما على حدة ، وأن الآباء والأبناء يمكن أن يسيروا معا فى صف طويل لانتزاع الشمس قبل الشروق ، ولتكون الحيــاة خضراء بالعمل والفكر والحب ، وليمكن أن تعود مصر من جديد صانعة للحضارة ومورّدة لها ، وليعلم العالم ان بلادنا لا تحل مشاكلها بالدم ولكن بالحب !

« عبده بدوى »

الدكتور خالد ...

التجربة الفنية والتاريخ

بقلم : عبد العزيز الدسوقي

فى أعماق الصمت والظلام والدنيا هاجعة يختار الاستاذ **أحمد حسين** أن يرسم الخطوط الاولى لروايته «الدكتور خالد» . ومن حق أى مؤلف أن يختار الزمان الذى تبدأ منه قصته والمكان الذى تنطلق منه ولكن مؤلف **الدكتور خالد** عودنا فى روايته السابقة « أزهار » على أن نقف عند كل لفتة ، وان نلتمس وراء عمله مزيجا غنيا من الرموز والايحاءات والظلال .. والاضواء ..

ففى هذا الظلام والصمت والكائنات غافية نلتقى بالشخصية الاولى فى الرواية « فوزى السيد على » رئيس حركة البعث المصرية ، يتقلب على فراشه فى الطرف القصى من شمال البلاد عند ملتقى النيل بالبحر حيث أقيم مصيف رشيد .

وهناك من بعيد فوق قمة قلعة الكبش بالقاهرة نلتقى بالوجه الآخر لهذه الرواية ·· عطيات بنت قمر الحبشية ... وزوجها بيومى رمضان .. وهما يتأهبان لرحلة مجهولة .

هنا فى رشيد قبيل الفجر يستيقظ فوزى ثم ينظر الى عروسه النائمة فى حنان وينطلق ليصلى الفجر .. ثم يذهب الى شرفة العشة الخارجية ليستمع الى هدير البحر الذى يمتص انفعالاته ويبعث فى نفسه الهدوء والأمان ، وأمام منظر الامواج وهى ترتطم بالشاطىء وتتحول الى زبد ورذاذ ، ينسى فوزى ما كان يعتلج فى صدره من أفكار ، ينسى سقوط الوزارة : ينسى الخاطر الذى ما فتىء يلح عليه فى الآونة الاخيرة ، وهو أن يتنازل عن زعامة الحركة الى خدمة الدكتور خالد ·· تقوية الجيش ·· ينسى حتى فكرة قرب اندلاع الحرب ··

وهناك فى قلعة الكبش ، عطيات بنت قمر الحبشية تنتفض وهى تسمع المؤذن يدعو للصلاة فى الفجر ــ لاليصلى ــ ولكن لأن هذا الاذان بشير بطلوع النهار .. وفى هذا النهار سيتحقق حلم حياتها .. ان سيدها الباشا «شاهين السلانكلى» سيبعث بسيارته لتأخذها وزوجها بيومى الى الاسكندرية ، حيث ينزلان ضيفين عند الباشا لمدة اسبوع .. ووقفت تتأمل زوجها بيومى رمضان .. وهو يغط فى نومه . وعلى الرغم من الظلام الذى كان يسود الحجرة فقد تمثلته بنحوله وسمرته وشاربه الخفيف المتهول .. ثم تتساءل .. ترى ماذا يمكن أن يكون موقف بيومى من رحلة الاسكندرية .

فوزى السيد على يقطع شهر العسل ويقرر العودة الى القاهرة ليواجه الاحداث هناك فقد كانت كل النذر تومىء الى اشتعال الحرب .. الدراما الانسانية .

اما عطيات بنت قمر الحبشية المرأة اللعوب المتطلعة فتتأهب للقاء الباشا فى الاسكندرية ؟

ما أبعد البون بين الرحلتين ·· وما ابعد الشقة بين الشخصيات .. ولكن المؤلف بحسه الروائى المرهف ، وبرشاقته الفنية ، ينسج روايته من هذه الخيوط المتنافرة ·· فيحيلها الى نسيج جميل منسجم الالوان ·· لمسات هنا ولمسات هناك فيشكل هيكل الرواية .. والدنيا فى الغبش ..

وكان المؤلف يوحى لنا أن الأحداث هى الاخرى فى ضمير الغيب ... مثل هذه الكائنات الغارقة فى احشاء الظلام .

وتتحرك الشخوص .. فوزى وعروسه وخادمه وطاهيته من مصيف رشيد الى القاهرة .

وعطيات وبيومى رمضان فى عربة شاهين السلانكلى الى الاسكندرية وعبر الرحلة تقع حادثة خطيرة لفوزى فتنقلب السيارة وهى منحدرة بسرعة من احد المرتفعات .. وكان لا بد ان يصاب من بداخلها بشر مستطير .

وللمؤلف قدرة خارقة على رسم الأجواء والاحداث فى عبارات قليلة تومض وتوحى وتنتفض .. فعندما اندفعت السيارة من المنحدر ، وراحت تنحدر الى الكارثة .. رسم المؤلف هذا المشهد الرهيب بلمسات سريعة متوترة « دوت فى نفس فوزى كلمة رهيبة .. حادثة .. حادثة .. حادثة .. وومض فى خاطره بآخر ما بقى لديه من احساس وشعور أتكون هذه هى النهاية .. هل انتهت روايتنا فصولا » ، ومضت لحظات خيل لفوزى فيها ان كل شيء قد توقف : الزمان والمكان والحياة .. ولم يعد ثمة شيء سوى الظلام والعدم ويتركنا المؤلف مع فوزى ووفاء والخادم والطاهية والعربة المحطمة فى الطريق المقفر الجديب قرب الاسكندرية ولكننا نشعر بالسعادة الغامرة والرضا لأن الجميع سالمون .. لم يصب احد بسوء .. الكل يقف فى الطريق ينتظر عربة مارة تمد لهم يد العون ، وتعيدهم الى الاسكندرية .

وهنا تظهر براعة المؤلف الفنية .. حيث يجمع على هذا المسرح .. فى الطريق الى الاسكندرية أبطاله فنشاهد الشاويش الذى يسوق عربة (شاهين السلانكلى) يتوقف عن المسير عند فوزى وينزل من العربة ويعاين الحادثة ويصاب بالدهشة البالغة .. ويردد والله ياسيدنا الأفندى .. انها لمعجزة الحمد لله الحمد لله .. هيا معنا .

وتمضى عربة شاهين السلانكلى الى الاسكندرية وهى تحمل عطيات بنت قمر الحبشية .. وزوجها بيومى رمضان والضيوف الجدد .. فوزى ووفاء والخادم والطاهية .. وفى الطريق يسأل الشاويش فوزى عن اسمه .. وعندما يعلم انه رئيس حركة البعث المصرية يصاب بذعر وارتباك ويخفف من سرعة السيارة ويقول لفوزى .

ـ اتعرف ياسيدنا الأفندى .. لا بد ان تكون من اولياء الله .. هذه كرامة اخرى لا تقل عن كرامة نجاتكم من الموت .. هذه سيارة القائمقام شاهين السلانكلى .. من هيئة اركان حرب .. الم تسمع عنه ، ويخبره فوزى انه لم يتشرف بمعرفته .. ويصيح الشاويش .. آمنت بالله .. تصور يا حضرة الأستاذ ان شاهين بك لاهم له الا ان يسبك ويلعنك كلما جاء اسمك امامه ويقسم ان لو امكنه الله منكم لقتلكم جميعا .. وهنا يطلب فوزى السيد على من الشاويش ان ينزل من العربة لئلا يسبب له المتاعب .. فيصرخ الشاويش قائلا والله يا حضرة الأستاذ « لو كان على رقبتى، يا سلام معقول اترككم فى الصحراء ، خليها على الله » . ثم ينطلق بالعربة الى الاسكندرية ويتعلق بيومى رمضان بشخصية فوزى وكأنه ايقظ فى نفسه شيئا هاجعا ..

.. ثم نعلم بعد ذلك ان فوزى قد عاد الى القاهرة وهناك يلتقى فى البيت الأخضر (مقر حركة البعث) بشباب البعث الشبابى الجديد ... الذى يرنو الى التغيير والى تحطيم الحياة القديمة .

وجو القاهره ملتهب مشحون بالتوتر لقرب اندلاع الحرب .. ويعلن فوزى انه يريد أن يتخلى عن زعامة الحركة لخالد امين .. وتندفع فتاة متحمسة هى الدكتوره فاطمة فى التصفيق ولكن الدكتور خالد امين يزجرها ويرفض هذه الفكرة ويصر الجميع على ان يظل فوزى قائدا للحركة .. وتندلع هتافات الشباب مؤيدة فوزى السيد على .. وفى هذا الجو نتعرف على خالد ومحى وصبرى وشكرى وغيرهم من الشباب الجديد .

اما عطيات بنت قمر الحبشية فنراها فى قصر شاهين السلانكلى فى (زيزنيا) هى وزوجها

وهنا يرسم المؤلف فى براعة ودقة صورة شاهين .. مع رجل انجليزى هو الكولونيل (سميث) رئيس مخابرات الجيش الانجليزى فى مصر ... لقد جاء الى قصره ليتعرف منه على اخبار عزيز باشا الذى رقاه رئيس الحكومة الجديد الى رتبة الفريق وعينه رئيسا لأركان حرب الجيش .. وبعد ان يتطوع شاهين بتزويد (سميث) بكل المعلومات التى طلبها منه يقول له :

ـ هذا الرجل مجنون وكان يجب ان تقطع كل

وسيلة بينه وبين الجيش .. تصور انه يريد اخراجي .. ولقد اهانني اليوم وسبني

واخرج (سميث) من جيبه مفكرة وقال لشاهين في اهتمام قل لي نص الجملة التي سبك بها امام الضباط ، فقال له شاهين ... لقد قال لي :«امش من قدامي يا جاسوس يا قذر احسن اكسر وشك» وسجل الرجل الانجليزي ما حدثه به شاهين السلانكلي .. ثم انصرف بعد ان اوحى لنا المؤلف في براعة ان شاهين يتقاضى اموالا من المخابرات الانجليزية ، لقاء ما يؤديه لها من خدمات ... وبعد ذلك ينزل شاهين الى حجرة نوم الضيوف ويلتقى بعطيات بعد أن يكون زوجها قد خرج مع الطاهى .. وبعب من الخطيئة ما شاء أن يعب !!

***

ولا يمكن ان امضى في تلخيص الرواية على هذا النحو ... فهذا أمر مستحيل .. لان الاعمال الفنية الكبيرة لايمكن أن تلخص ولكننى سجلت هذه اللمسات لأؤكد حقيقة هامة ... هى أن المؤلف يمتلك ناصية فنه في أستاذية وعمق .. ففى الصفحات الأربعين الاول من الرواية التى جاوزت الستمائة صفحة استطاع في رهافة ورشاقة أن يرسم كل الخيوط التى تشكل نسج روايته كلها .. وأن يصور الأجواء والأحداث تصويرا عذبا ، يثير في النفس الانسانية أروع الانفعالات ... ولااستطيع أن أصف المتاع النفسى ، ولا أن أصور اللذة الفنية والغبطة الروحية التى صحبتنى طوال الايام التى قضيتها مع هذه الملحمة الانسانية الجياشة بالفن والجمال والجلال ، اطالع لوحات فنية شفافة تعبق بعطور الفن .. وارى مشاهد عاتية مثيرة وأغوص الى اعماق النفس الانسانية وهى تتلوى أمام الهول والخراب والدمار .

ثم اعود لأتساءل ماذا جرى لشاهين السلانكلى وعطيات وبيومى رمضان ..؟ لقد رجت قصتهم نفسى رجا وهزتنى وانتهت بمأساة مروعة عندما قتل بيومى شاهين ثم انتحر ..

وماذا جرى للدكتور خالد والدكتورة فاطمة لقد كانت قصة حبهما العذرى المحروم تفوق كل تصور ... ثم انتهت بموت الدكتور خالد أثناء غارة جوية على برلين .. مات غريبا وحيدا ..

ماذا جرى لفوزى وصبرى ومحيى .. صارعوا الأحداث وصارعتهم ، ثم قامت الحرب فحطمت كل شىء ؟؟؟

فهل هذه الخطوط كلها هى القصة ؟ هل يريد المؤلف ان يروى لنا قصة مسلية جرت بين شاهين السلانكلى وعطيات بنت قمر الحبشية .. وبين الدكتور خالد امين والدكتورة فاطمة .. ؟

اعتقد ان المؤلف لايقصد الى هذا ... وانما اراد ان يصور فترة من حياتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية تصويرا فنيا ... وهناك فرق كبير بين أن يسجل الانسان تاريخ فترة من الحياة ويروى وقائعها ... وبين ان يصورها تصويرا فنيا موحيا خصبا ، على هذا النحو الذى صنعه استاذنا احمد حسين في روايته هذه ... هناك التاريخ بجفافه وقسوته وصرامته .. وهناك الفن بشفافيته ورهافته ونضارته ..

ففى « الدكتور خالد » رسم لنا المؤلف لوحات مترعة بالفن والجمال .

- عن قيام الحرب ..
- وعن موقف مصر من اعلان الحرب على المحور وعن الانذار البريطاني .
- وعن حادث ٤ فبراير .
- وعن مصرع الدكتور احمد ماهر في البرلمان .
- وعن الجمعيات الدينية والهيئات الشابة التى وقفت تصارع الجيل القديم .
- وصور فى عمق قصة الانسانية وهى تتلوى في قبضة الموت والفناء ، وتتهاوى صروح حضارتها ومؤسساتها العمرانية والثقافية وتسارع في جنون نحو الهاوية السحيقة .
- ثم صور في دقة حياة مصر في غضون هذه المأساة الضروس .. مصر بكل شبابها واحزابها وهيئاتها صور الحياة الجادة الصارمة .. وصور الحياة الماجنة اللاهية .
- ثم سجل التغير الحتمي الذى اصاب كل شئ ، بعد الحرب .
- لقد سارع الملك بعد ٤ فبراير الى الانحدار والانحلال .
- وتغير رئيس حزب الاغلبية وتهاون في حقوق الشعب واستسلم لدفء الثراء والجاه والسلطان .

● وتغير الشباب وسرت اليه عدوى الشيوخ فبدا ينقسم على نفسه ويضل الطريق وتتشعب امامه السبل .

● وتغيرت النفوس وبدات تهفو الى الغنى والمال ، وتتنكر لحياة النضال ، وتحيد عن القيم الانسانية الرفيعة .

● وصور الظلام والخراب وانطماس القيم واختل المعايير ، وفساد الحياة ..

ولم يشا المؤلف ان يتركنا نهب هذا الصراع العاتى الرهيب ، ولا ان يسلمنا لهذا الظلام الموحش الكئيب ... فرسم لنا شخصية الدكتور خالد امين ذلك القديس الذى يمثل اجمل ما فى الحياة .. وارفع ما فى القيم .. ووقف بين الخرائب والأطلال ليرمز لانتصار الانسان .. انتصار الانسان على نفسه وعلى الشهوات والمغريات وليؤكد دائما أن الحياة أقوى من الموت .. وان السمو والقيم الانسانية باقية على رغم الظلام والفناء .

واستشهد خالد امين فى نهاية الحرب .. وكان الله قد ابقاه طوال الحرب لينصر الحياة ، ويذود عنها اعاصير الحرب وهولها .. فلما دقت اجراس السلام .. مضى خالد امين الى السماء .. وترك حبيبته فاطمة فى آخر الرواية تبكى وتبكى وتغمغم من حين لآخر : ماقساك على ياخالد .. ماقساك على حيا وميتا ...

فى الرواية كل هذه الأحداث والحقائق التاريخية والوقائع الشخصية .

بين الفن والتاريخ

ولكن هل يمكن ان نقول ان هذه الرواية تاريخ ..؟

والجواب بالتاكيد لا .. ليست هذه الرواية تاريخا على الرغم من انها تقوم على مجموعة من الحقائق التاريخية .. فكل مافيها تاريخ حقيقى صادق .

ولكن هذه المعلومات والوقائع التاريخية ، تحولت فى وجدان المؤلف الى تجربة فنية صافية ، سجلها على هذه الصورة النضرة الطازجة المشرقة . وهذا هو السر فى جاذبية الرواية ورشاقتها واستهوائها للقارىء على الرغم من احداثها السياسية والتاريخية .. لقد تحولت السياسة والتاريخ الى فن .. وذاب فى الرواية .. واختلط بها .. كما تذوب الخميرة فى العجين وتتحول الجميع الى خبز ، ومن المستحيل ان نفصل الخميرة عن العجين بعد ان يتخمر الجميع ويتحول الى ارغفة ناضجة .. وكما يتحول (الأصنص) الى عطر بعد أن يختلط (بالسبرتو) والماء المقطر ومن المستحيل ان تفصل (الأصنص) عن العطر .

ومن المستحيل ان تفصل السياسة والتاريخ عن الفن فى رواية «الدكتور خالد» ولذلك اقرر فى غير تردد ان الاستاذ احمد حسين بهذه الرواية .. وزميلتها أزهار يحدث فى حياتنا الأدبية شيئا جديدا .

ويمكن ان نطلق على هذا الشىء (التجربة التاريخية) او (التصوير الفنى للتاريخ) واعنى بذلك ان يتحول التاريخ بما فيه من احداث سياسية واجتماعية واقتصادية الى تجربة فنية تعيش فى وجدان المؤلف ويحتضنها فترة من الزمان .. ثم يصورها فى عمل فنى خلاق .. هنا يكون المؤلف قد انفعل بهذه التجربة وخلطها بوجدانه واضاف اليها من فنه ، عندئذ يخرج العمل مرهفا حارا عميقا ينبض بالصدق وينتفض بالانفعال .. وهذا هو الفرق بينها وبين التاريخ .. وهو ايضا الفرق بينها وبين الرواية التاريخية التى كان يكتبها « جورجى زيدان » فى مطلع هذا القرن .. لقد كان يسجل أحداث التاريخ كما هى ويفتعل لها قصة حب ويركب احداثها ويربط بين اجزائها .. ولذلك يمكن بسهولة ان نفصل التاريخ عن القصة .. لأنها اجزاء مجموعة ومرصوصة دون ان تفقد خصائصها .. اما التجربة التاريخية فعناصر متعددة تتحول فى وجدان الفنان وتتفاعل كما تتفاعل الغازات المختلفة وتصير شيئا واحدا .. جديدا له خصائص جديدة مختلفة عن عناصره قبل أن تتحول .. وهذا ما جلعنى اقرر ان رواية (الدكتور خالد) ليست تاريخا .. على الرغم من أن عناصرها من التاريخ .. وانما هى تجربة تاريخية ... وهى مختلفة عن الرواية التاريخية .. ومختلفة عن التاريخ السردى الجاف . ولهذا فما أجدر الاستاذ احمد حسين بالتهنئة على هذه الريادة الجادة فى حقلنا الفنى ..

وما أحوجنا الى ان نلتفت الى هذه التجربة الرائدة ونحييها ونعمقها بالدراسة والفهم ... فلا تزال بكرا فى حاجة الى مزيد من الكشف والاختبار .

عبد العزيز الدسوقى

المتحذلقات | الدرس

موليير | يوجين يونيسكو

بقلم : على شوقى صلاح

كوميديتان عالميتان قدمتهما معا وفى برنامج واحد فرقة « المسرح العالمى » التى انشأتها وزارة الثقافة والارشاد القومى لعرض الشوامخ الخالدة من المسرحيات العالمية .

والأولى – المتحذلقات – الفها موليير زعيم كتاب الفكاهة فى فرنسا تنديدا بظاهرة كانت قد تفشت بفرنسا فى النصف الأول من القرن السادس عشر ايام حكم لويس الثالث عشر ولويس الرابع عشر وهى ظاهرة الحذلقة والتكلف وادعاء الرقى والعلم والتأنق فى المظهر واصطناع الاحاديث الراقية والآداب العالية !

وموليير كان موكلا بالنقائص يتعقبها واحدة واحدة بالتعيير والتشهير ، وكانت وسيلته الى ذلك هى السخرية اللاذعة ، والتهكم باصحاب هذه النقائص تهكما يجعلهم مثلا بين الناس .

تعقب اصحاب النفاق فى روايته (طرطوف) التى تدور حوادثها حول هذا المنافق الدجال الذى تستر وراء الدين والدين منه براء وكاد يدمر اسرة برمتها بما حاك لها من مكايد ودسائس مدعيا الاخلاص لها والغيرة على مصالحها !

وتعقب البخلاء الذين يعبدون المال من دون الله ويجعلونه الغرض الأسمى من الحياة ويحرصون عليه حرصهم على هذه الحياة بل هم عليه اشد حرصا ! وذلك فى رواية (البخيل) – هارباجون – وجعل منه اضحوكة كبرى بين الناس !

وتعقب اصحاب الملق والزلفى الى ذوى الجاه والنفوذ فى روايته (عدو المجتمع) فسخر بهم سخرية قاسية شديدة .

وغير ذلك كثير مما لا يتسع مجالنا هنا لاستيعابه وهو فى مسرحيتنا هذه – المتحذلقات – قد سخر باولئك النساء اللائى اتخذن الوسيلة الى الرفعة والرقى الحذلقة والتعالى وادعاء الرقى ومط الكلام ووزن الخطوات وما الى هذا من كاذب المظاهر .

وتتلخص فى انه كان لرجل اسمه (جورجيبس) ابنة من اولئك المتحذلقات المتفيهقات اسمها (ماديلون) وابنة اخ اسمها (كاتوس) قد ذهب بهما الغرور مذهبا بعيدا واخذن بما كانت تأخذ به جماعة المتحذلقات من صور زائفة .

هبط عليهما يوما عاشقان هما (الاجرانج) ، (دوكروازى) واوصاهما (جورجيبس) بأن تحسنا لقاءهما لأنهما سيدان كريمان ، لهما فى المجتمع شأن وقيمة ولأنهما قد يصيران عما قريب زوجين لهما .. وقد اظهر الرجلان لهما الحب وابديا لهما رغبتهما فى الزواج منهما ، ولكن الفتاتين – فى غمرة الادعاء والحذلقة – لم تدركا ما للرجلين من شأن ملحوظ وقدر رفيع واستطردتا فيما هما فيه من ترفع كاذب ، ولقيتا الرجلين لقاء سيئا واعرضتا عنهما وابديتا لهما الصدود والضيق بهما مما جعلهما يغادران المنزل غاضبين مستاءين وقد اضمرا رغبة قوية فى الانتقام من هاتين الفتاتين المغرورتين !

وانتهى امر ذلك الى (جورجيبس) فجاء اليهما يستطلع الأمر فاخبرتاه انهما لم ترتاحا الى هذين الرجلين لانهما لم يظهرا بمظهر الرجلين الراقيين ! لانهما قد فاتحاهما فى موضوع الزواج مباشرة دون أن يقدما أو يمهدا لذلك بالغزل واظهار الوله والغرام بهما ودون أن يبادلاهما نظرات الحب ويرسلا الآهات والزفرات الحارة بين يديهما دون أن يلتقيا بهما فى معبد أو متنزه أو فى حفلة عامة ؛ ودون أن تقوم المغامرات والمنافسات وتدخل

الآباء واضطهادهم لبناتهم وفرار البنات مع من يحبون وما يعقب ذلك من حوادث جسام!.. والادهى من ذلك حضورهما وارجلهما عطل من الزينة وقبعتاهما مجردتان من الريش وسترتاهما خاليتان من الاشرطة والزينة وطوقاهما من اقدم طراز، وسراويلهما لا يزيد اتساع الواحد منهما على نصف قدم !!

فساء ذلك «جورجيبس» كثيرا، واعتقد ان الفتاتين مخبولتان وانذرهما انذارا نهائيا بانهما اذا لم يتزوجا في اول فرصة تسنح بعد اليوم فانه سيرسلهما الى الدير حتى تقضيان بقية حياتهما راهبتين .

وفي تلك الاثناء كان السيدان « لاجرنج » و «دوكروازى» قد انتهى تفكيرهما الى طريقة للانتقام منهما ، فجهزا خادمين لهما بافخر الثياب واغلى الرياش واغرقوهما في ملابس وجواهر لا تدع مجالا للشك في انهما من اعلى الطبقات وارقاها وفي ان كلا منهما «فيكونت» عظيمة تنحنى له الرقاب .. وارسلاهما الى الفتاتين على انهما خطيبان جاءا يطلبان يديهما وعلماهما بعض كلمات الحب والغرام كي يسكباها في اذني تلكما المغرورتين

فلما ذهبا الى الفتاتين بتلك الصورة الخلابة وبهذا المظهر الآسر ارتمت الفتاتان في احضانهما واقبلتا عليهما بدون تفكير جريا وراء مظهرهما الفخم الذي لا يدع مجالا للشك في انهما من علية القوم الذين يشار اليهم بالبنان ! وانهالت القبلات بين الفتاتين وبينهما دون تحشم او حياء .. واقاموا حفلا موسيقيا ابتهاجا بهذا اللقاء السعيد دار فيه الرقص بين الجميع !

وفيما كان الحفل قائما حضر السيدان «لاجرنج» و « دو كروازى » ، وكشفا عن أمر هذين العاشقين الجديدين ونزعا عنهما ملابسهما المستعارة فاستبانت حقيقتهما وعلم الحضور انهما خادمان خدعا الفتاتين المتحذلقتين اللتين تزعمان الفهم والمعرفة ! وتخجل الفتاتان من تلك المكيدة التي جعلتهما مثلا بين الناس ويستشاط «جورجيبس» غضبا ويامرهما بالتوارى من فورهما عن انظار الناس !

واما الثانية — واعنى بها مسرحية «الدرس» — فقد كتبها «يوجين يونيسكو» ذو المرامى البعيدة الذي يجب عليك وانت تقرأ له او تشاهد له ان تترك ظاهر اللفظ وتغوص فيما وراء الكلمات ولا تمر به مرا سريعا فانه لا يكتب للذين يمرون به كذلك ، وانما هو يتطلب منك الاناة والمهل حتى تستطيع أن تدرك ما يريد ان يقول !

وهي مسرحية صغيرة او هي تمثيلية على الاصح تتلخص في أن رجلا يشتغل مدرسا يقوم بتدريس دروس خاصة في منزله ، تحضر اليه فتاة تريد ان تاخذ منه دروسا تؤهلها لنيل «الدكتوراه» ويشرع هو في التدريس لها مبتدئا معها بتدريس الحساب! ومبتدئا من دروس الحساب بدرس الجمع ثم الطرح ! فتعجب انت لطالبة الدكتوراه كيف تدرس هذه التوافه ، ثم يشتد عجبك عندما تراها تتعثر في عمليات الجمع والطرح!.. ولا يجد المدرس جدوى من تدريس الحساب لانها لا تفقه فيه شيئا فيتركه الى تدريس الجغرافيا ! فيزداد عجبك لتلك الطالبة عندما تراها اشد جهلا بالجغرافيا منها بالحساب! ويذهب بها ذلك المدرس كل مذهب ويسبح معها في اقطار الأرض وهي لا تدرك مما يقول شيئا وهو يصيح بها صيحات هستيرية حتى ليخيل اليك انه اصيب بالجنون ، وتبدا معركة حامية بين المدرس والتلميذة تشتد وتشتد حتى تنتهي بأن يغمد السكين في ظهرها فيقتلها ، كل ذلك وانت في دهشتك وتعجبك ... ولكن هذه الدهشة تزول عندما يتبين في النهاية ان هذا المدرس من رجال «النازية» التي كانت مولعة بسفك الدماء وانه رمز لهذا المذهب وان هذه الفتاة هي الاربعون ممن قتلهن وانه انتحل صفة المدرس لتكون وسيلة الى تنفيذ اهداف «النازية» في القتل وسفك الدماء .

ونلاحظ ان نهاية «المتحذلقات» كانت كنهايات «موليير» — في الأغلب الاعم من مسرحياته — ضعيفة مفككة مما جعل النقاد ياخذونها عليه ، ونلاحظ انه وردت بها شتائم ليست في الاصل الذي كتبه «موليير» ولم يكن من اللائق ايرادها مثل سب احدى الفتيات بكلمة « يا بنت الكلب » مهما قيل في تبرير ذلك، وانه قصد اليها قصدا لبيان وضاعة المتكلم وانه لا يمكن ان يكون سيدا محترما ، ونلاحظ انه جرت على لسان الممثلين كلمات هي — فوق انها لم ترد في الاصل أيضا — فانها جوفاء ولا محل لها في هذا المقام مثل قولهم «فقه اللغة يقود الى كارثة» فهذا تظرف ثقيل بغيض وغير ذى معنى !

وقد اخرج المسرحية الاولى « **محمد مرجان** » فاستطاع التعبير عن جوها وعن اهداف مؤلفها كما استطاع تصوير جوها تصويرا حسنا ، الا ان السادة

الممثلين والممثلات قد اجمعوا على اهدار اللغة اهدارا شديدا جدا لا يمكن التسامح فيه ، بل يجب أن ننبه المسئولين في وزارة الثقافة والارشاد لياخذوهم بالشدة على هذا الاهمال الشائن .

وقام «عبد الفتاح السباعى» بدور «جورجيبس» فأحسنه ، وقامت «مديحة حمدى» و «نادية رشاد» بدورى «مادیلون» و «كاتوس» فبالغا فيه مبالغة افسدته ولو اقتصدتا في الحركات الطائشة لكان خيرا لهما ، وقام «سعيد صالح» بدور «ماسكاريل» وقد قام به — وهو دور طويل — بقدرة لا باس بها الا انه كان اميل الى اضحاك الناس كثيرا وكانت تغلب عليه هذه النزعة فافسدت الكثير من مواقفه!!

واخرج المسرحية الثانية «سمير العصفورى» فكانت طبيعية جدا ، الا انه لم يعط للمدرس صفة الرجل النازى العادى فقط بل جعله «هتلر» نفسه! وقامت «انعام سالوسة» بدور التلميذة فكانت خير الممثلين والممثلات جميعا على ما في دورها من مشقة وجهد كبيرين ، وكانت طبيعية جدا جعلتنا لا نشعر اننا أمام تمثيل !

ولكنا الى ذلك نشكر لهؤلاء الشباب جهدهم عرضهم الكبير ونتجاوز هذه المرة عما بدر منهم من هنات ستحسبها عليهم كبائر ان عادوا اليها !!

نظرات

● امتدت النهضة المسرحية القائمة فى البلاد الآن الى عالم الاطفال فانشات الدولة لهم «مسرح الاطفال» الذى بدا العرض فى الصيف الماضى بالاسكندرية على مسرح سيد درويش ، وانتقل الآن الى القاهرة على مسرح «الهوسابير» .

وتلك يد جديدة تضاف الى ايادى وزارة الثقافة والارشاد القومى على المسرح عندنا ودفعه الى الامام فى قوة وعناية ملحوظتين .

ولكنا نلاحظ على مسرح الاطفال هذا بعض اشياء نريد ان ننبه اليها :

نلاحظ اولا ان التمثيل جرى فى الاسكندرية على مسرح كلاسيكى عتيق هو مسرح سيد درويش لا يمت الى عالم الاطفال باية صلة . وليس فى مظاهره المادية من مقاعد الى ستائر الى ديكورات الى اضاءة الى غير ذلك .. ليس فيها ما يتصل بعالم الاطفال ويشد اليه خيالهم . والامر كذلك تماما فيما يجرى الآن بالقاهرة على مسرح «الهوسابير» .

ان مسرح الاطفال يجب الا تقع عين الطفل فيه الا على ما يعتقد انه مجعول له ومخلوق من اجله . فيشعر — للوهلة الاولى — ان هذه الدار داره ولن كل ما فيها له : فالمقاعد صغيرة ، والصور مناسبة ، والديكورات مما يقع فى خياله ، والاضاءة زاهية ملونة فى الصالة وهكذا .. وليس عسيرا ان ينشا مسرحان جديدان على هذا النمط فى القاهرة والاسكندرية على أن تعمم فيما بعد فى المحافظات .

ونلاحظ ثانيا ان الذين يقومون بالتمثيل فى هذا المسرح هم من الاطفال انفسهم ؟ وهذا خلط لايجوز . فهذا المسرح ليس مدرسة لتخريج ممثلين من الاطفال فلهذا مكان اخر . وانما هو ليشاهد فيه الاطفال تمثيلا جيدا وموضوعا جيدا متناسبا مع مداركهم . ولن يستطيع هؤلاء الاطفال الذين يقومون بالتمثيل ان يؤدوا الاداء الجيد الذى يشبع رغبات اخوانهم الشاهدين .. هاتوا الموضوع المناسب للاطفال ثم اجعلوا يوسف وهبى وحسين رياض وامينة رزق يقومون بتمثيله وسترون كيف يشد اليهم الاطفال بجميع جوارحهم .. اما قيام الاطفال انفسهم بالتمثيل فذلك مكانه المدرسة فقط .

ان ماعرضه مسرح الاطفال حتى الآن لم يزد على ما يشاهدونه فى مدارسهم وليس هذا من وظيفته فى شىء .

● امتلات حياتنا الفنية والادبية بالمجلات المتخصصة فى فروعها المختلفة . فانشات وزارة الثقافة والارشاد القومى عددا من هذه المجلات . كمجلة القصة ومجلة المسرح ومجلة الشعر ومجلة الكتاب العربى وغيرها عدا السلسلات المختلفة التى تظهر بين الحين والحين .

وكانت قد تطايرت اشاعات بان هناك تفكيرا فى اصدار مجلة للفنون الشعبية ولكننا لم نجد لذلك اثرا حتى الآن . فما سبب ذلك ياترى ؟

الكون الفنون الشعبية برمتها اقل اهمية من الشعر والقصة مثلا ؟

اليست هذه الفنون الشعبية كما هو معلوم وعاء تاريخنا وبطولاتنا وامجادنا وسجل الزعماء الشعبيين الذين تغنى الشعب بما عملوه وبما ادوه له من عظائم الامور وبما لاقوه من اجله من عذاب وموت ودمار .

اليست هى خيال الشعب فيما مارس ويمارس من اعمال مصورا او متغنى به فى صور الفناء العديدة . الا ترى ابناء الشعب كيف تجذبهم هذه الفنون لانهم يرون فيها انفسهم كانما ينظرون فى مراة .

عندنا والحمد لله المتخصصون فى هذه الفنون الشعبية فماذا بقى لتظهر لنا هذه المجلة .

● من افات المسرح عندنا «صوت الملقن» فان الملقن فى مسارحنا جميعها تقريبا يكاد يكون الممثل «الدائم» فصوته اسبق الى اذاننا من اصوات الممثلين ، وهو يسمعنا كل ما سيقوله جميع الذين تقلهم خشبة المسرح مقدما .

ونحن نفهم ان الاصل فى وجود «الملقن» هو «انقاذ» الممثلين عند النسيان خشية ان يتوقف التمثيل ، ولكننا لا نفهم ان يقرا صورة المسرحية التى بين يديه من الفها الى يائها دون توقف !

ولا ادرى لم يحمل نفسه كل هذا العناء ؟ هل اوحى الله اليه ان جميع الممثلين لن يحفظوا ادوارهم وانهم فى حاجة دائمة غير منقطعة اليه ؟ ام انه يقرا لهم المسرحية كلها على سبيل الاحتياط .. ؟؟

« على متولى صلاح »



القهوة والبن

بقلم : نبيلة عطيه الابراشي

ان الشراب الذى نشربه ونسميه قهوة يعمل من البن المطحون ويؤخذ البن عادة من البن الاخضر الذى يقل ، ثم يطحن ، ويقال ان القهوة اقدم من الشاى ، وقد كشفها احد الرعاة فى جنوب الحبشة .

والبن الاخضر حبوب تؤخذ من اشجار البن . ويبلغ ارتفاع شجرة البن من عشرين قدما الى ثلاثين ، واوراق شجرة البن خضراء تميل الى السواد ، براقة لامعة ، وتنمو ورقتين ، ورقتين . فعلى كل شجرة تجد كل ورقتين متقابلتين متلاصقتين ، فى فرع واحد من الشجرة ، وفى الجزء الذى تلتقى فيه الورقتان من فرع الشجرة ـ تظهر فى البدء أزهار صغيرة بيضاء هى أزهار البن او الثمار الصغيرة التى لم تنضج من البن ، فاذا نضجت هذه الازهار تكونت تحتها حبوب هى البن الاخضر .

وحبة البن مغطاة بقشرة خارجية حمراء ، وحول كل حبة قشرة لفية بيضاء من الداخل . وتنقسم كل حبة الى قسمين (فصين) متساويين . ويتكون البن الاخضر من الحبوب التى نزعت قشرتها الخارجية الحمراء ، وقشرتها الداخلية البيضاء .

ومنذ مئات السنين كانت أشجار البن لاتزرع ولا تغرس الا فى بلاد الحبشة فى افريقية .

وقد نقل التجار من العرب البن الاخضر من الحبشة الى البلاد العربية ، فجرب العرب استعمال البن الحبشى فى عمل القهوة ، فاحبوا شربها كثيرا ، ثم دعاهم ذلك الى تجربة زراعة البن فى بلادهم ، وغرس كثير من اشجاره فيها .

وقد نجحت زراعته فى اليمن نجاحا كبيرا ، حتى صار البن اليمنى معروفا بجودته وحسن طعمه ، وجمال رائحته .

وللعرب شهرة فى عمل القهوة ، واليهم ينسب اسم القهوة العربية ، ومازال البن يزرع ويغرس فى بلاد اليمن ، ويصدر الى البلاد العربية حتى وقتنا هذا . وقد عرف العرب البن والقهوة قبل ان تعرفهما اوربة .

وفى القرن السادس عشر نقل التجار البن الى البلاد الاوربية وفتحت المقاهى فى بلاد اليونان خاصة ، واخذ الناس يجتمعون فيها للتحدث وشرب القهوة ، وقضاء بعض الوقت فى التكلم .

وكان البن غاليا وثمنه مرتفعا فى تلك الايام ، لكثرة ما كان يدفع عليه من الضرائب ، ولارتفاع ثمنه كان استعماله قليلا فى البيوت ، ولكن بعد ان خفضت الحكومات ضريبته صار ثمنه رخيصا وبدا كثير من الناس يشترونه ويستعملونه فى بيوتهم .

وانتشر شرب القهوة فى البيوت والمقاهى ، واحبها كثير من الناس ، واكثروا من شرائها وطلبها .

واكثر البلاد انتاجا للبن الآن هى البلاد الآتية مرتبة على حسب كثرة الانتاج وقلته .

١ ـ البرازيل .
٢ ـ كولومبيا .
٣ ـ امريكا الوسطى وجزر الهند الغربية .
٤ ـ افريقية الشرقية .
٥ ـ افريقية الغربية .
٦ ـ جزر الهند الشرقية

اين تجود زراعة البن ؟

تجود زراعة البن فى البلاد الجبلية الحارة الكثيرة الامطار على سطوح التلال والجبال .

وبعد ان كان البن يزرع فى بلاد الحبشة وحدها ، انتقلت زراعته الى الاقطار الاخرى ، فى المناطق الحارة الرطبة ، وانشئت مزارع لزراعة البن فى افريقية الغربية ، وافريقية الشرقية ، وجزر الهند الغربية والشرقية ، وامريكا الوسطى ، وامريكا الجنوبية .

وصارت الحبشة واليمن وافريقية الغربية والشرقية وجزر

الهند ، وامريكا الوسطى والجنوبية تصدر البن الاخضر الى غيرها من الاقطار المحبة لشرب القهوة .

وفى القرون الثلاثة الماضية انتشرت زراعة البن الاخضر فى الاقطار المختلفة ، وكثرت شركات البن التى تنتجه وتصدره ، وشركات البن التى تستورده للاتجار فيه .

وحتى نهاية القرن الثامن عشر كان معظم البن فى العالم يصدر من اليمن ، وفى سنة ١٨٣٠ كانت اكبر مزارع البن فى جزر الهند الغربية . وفى سنة ١٨٦٠ كانت اعظم مزارع البن فى جزر الهند الشرقية ، وفى سنة ١٨٨٠ كانت البرازيل اعظم قطر فى العالم يهتم بزراعة البن وتصديره .

ومعظم البن الذى يستهلكه العالم لايزال - الى يومنا هذا - يستورد من البن الذى تزرعه البرازيل .

وفى سنة ١٩١٠ انتجت مزارع البن فى العالم ١٧ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) كيس من البن الاخضر ، وكان نصيب اوربة من هذا المقدار ٩ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) ، ونصيب الولايات المتحدة الامريكية ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) ، ونصيب الاقطار الاخرى من العالم ١ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) .

وفى سنة ١٩٥٠ كان محصول البن فى العالم ٣٠ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) ، اخذت منه الولايات المتحدة الامريكية ٢١ر٠٠٠ر٠٠٠ (جوال) ، واخذت اوربة ٦ر٠٠٠ر٠٠٠ جوال ، واخذت الاقطار الاخرى من العالم ٣ر٠٠٠ر٠٠٠ جوال منه .

كيف يزرع البن ؟

ان بذور البن هى البن الاخضر الجاف الصالح للزراعة وقبل ان تبذر البذور تعد التربة فى صناديق خاصة ، او حدائق صغيرة (مشاتل) . ثم توضع البذور فيها ، وتغطى بطبقة من الطمى ، وتروى بالماء حينما تجف التربة ، وتترك فى الظل حتى يظهر النبات بعد عدة اسابيع .

ويحتاج نبات البن الى عنايـة كبيرة ، وحفظه من الشمس والرياح . فاذا ظهر النبات فى الصناديق الخشبية او الحدائق الصغيرة ، ترك حتى ينمو ، ويظهر من الشجرة اربع ورقات . وهنا يبدأ الزراع فى نقل النباتات الصغيرة الى قدر (قصار) مصنوعة من الخيزران ، كى يستطيع العمال نقلها كل يوم فى الأمكنة الظليلة ، البعيدة عن الرياح .

وبعد ان تكبر النباتات فى (القصارى) تنقل منها الى حفر اعدت فى مزرعة البن اعدادا خاصا ، ويجعل بين كل حفرة واخرى اثنتا عشرة قدما (اربع ياردات) ، وترتب فى خطوط منتظمة .

ويزرع بين تلك الخطوط الواسعة نباتات من الانواع السريعة النمو لتكبر بسرعة ، وتظلل اشجار البن .

وحينما تنمو اشجار البن ، وتطول عيدانها ، ويبلغ ارتفاعها خمس اقدام تقلم اطرافها العليا وتهذب ، كى تقوى ، ويتسع امتدادها ، ويزداد تفرعها ونموها فى الجوانب .

وتحتاج اشجار البن الى عناية كثيرة ، لحفظهـا من الآفات الزراعية ، والحشرات الحفارة ، التى تثقب ثقوبا فى جذورالاشجار وعيدانها فتتلفها ، وتحفر حفرا فى الثمار والحبوب فتفسدها ، وتجعل طعم البن ردئ المذاق ، وتسمى تلك الحشرة بالحفار .

ومنذ بضع سنوات انتشرت الآفات الزراعية فى مزارع البن بسيلان ، واتلف الحفار الاوراق من اشجار البن ، وثقب جذور الاشجار ، فمات كثير منها فى سيلان . وليس بها الآن غير مزارع قليلة من مزارع البن .

وتمكث زراعة البن فى الارض خمس سنوات او ستا ، وهى مدة كافية لنضج الثمار من اشجار البن فى المزرعة ، ويستطيع الرجل النشيط ان يقطف ويجمع من البن ٤٠ رطلا مصريا فى اليوم .

نبيلة محمد عطية الابراشي

قراءات في المجلات العربية



يقدمه : محمد العوانى

مع عيد العلم :

كان حديث الصحافة فى الأسبوع الماضى عن « عيد العلم » فقد شهد الرئيس جمال عبد الناصر الاحتفال بتوزيع الجوائز على أكثر من خمسمائة متفوق ، ووقف أمام هؤلاء الفائزين ليتحدث عن دور العلم فى بناء حياتنا الجديدة ، تلك الحياة التى تجند من أجل بنائها كل الطاقات الكامنة فى مجتمعنا ، وقد وضع الرئيس فى خطابه نظرية جديدة هى « أن العلم ينبغى أن يكون ملتزما ازاء المجتمع » حتى يستطيع أن يقوم بضوء كاشف أمام حركاته .

ثم بين الرئيس « أن الأديان كلها كانت رسالة علم الهى تلقاها الانبياء بالالهام القدسى ، ولم يحتكر واحد منهم ما تلقاه ولا استفادة منه لنفسه ، وانما أشاعوا العلم رسالة فى الناس وجعلوا منه قوة تغيير اجتماعى صنعت المعجزات » .

فعيد العلم العربى اذن فوق أنه تكريم للمشتغلين بالعلم هو أيضا تكريم للاتجاه القومى ، وتحقيق لمجد الفكر العربى ، كما أنه يؤكد أن الثورة علم ، وأن الاشتراكية علم ، وأن تحقيق الأحلام العريضة للشعب العامل على أرض الواقع علم أيضا .

ويختم الرئيس خطابه مبينا « أن العلم هو مركب الامان نحو المستقبل والالتزام الاجتماعى دليله الذى لا يخطىء على الطريق » .

وقد ألقى الأستاذ محمد فريد أبو حديد كلمة فى الاحتفال نيابة عن الفائزين أعرب فيها باسم زملائه عن شكره للرئيس على تقدير العلماء وتكريمهم ، وبين أن الطريق مفتوح أمام كل من يتطلع الى التجديد والتفوق من أبناء الجيل الحاضر والأجيال المقبلة ، كى يقوموا ببناء حضارة عربية جديدة تضارع أو تفوق فى سموها وابداعها حضارتنا العربية السالفة .

ويضيف الأستاذ أبو حديد أن حضارتنا السالفة كانت حضارة ممتازة قامت على الايمان بالخير الانسانى والفضائل الانسانية ، وأن « حضارتنا الجديدة لتسير فى آثار الحضارة السابقة فى كل ما هو خير للوجود البشرى ، وان كان من المنتظر أن تكون أبعد مدى وأغزر مادة » .

والأستاذ أبو حديد ـ وهو أحد الفائزين بجائزة الدولة التقديرية فى الآداب ـ قام بترجمة أربعة كتب عن الانجليزية ، وله عدة مؤلفات مسرحية ، وأشهر مؤلفاته القصصية هى :

الملك الضليل ، وزنوبيا ملكة تدمر ، وعنترة ، والمهلهل ، والوعاء المرمرى ، وأزهار الشوك ، وأنا الشعب .

وممن فاز بجائزة الدولة التشجيعية عن فن « التراجم » الدكتور أحمد كمال زكى عن كتابه « الاصمعى » والأستاذ أنيس منصور عن كتابه « حول العالم فى ٢٠٠ يوم » والدكتور على سامى النشار عن كتابه « نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام » .

كما فاز الأستاذ أمين يوسف غراب أيضا بالجائزة التشجيعية عن مجموعته القصصية « أشياء لا

تشترى ، والأشياء التى لا تشترى فى نظره هى السعادة ، لان مفهومها قدرى لا يستطيع أن يشتريه الانسان ولو بحياته ، فالحب مثلا ٠٠ اذا كان نوعا من أنواع السعادة عند بعض الناس فعدم التوفيق فيه ليس من الممكن شراؤه ، والابناء اذا حرم منهم الشخص لا يمكن أن يشتريهم ، وعاطفة الامومة نفسها لا يمكن أن تشترى ، وغير ذلك مما ناقشه الأستاذ أمين غراب فى القصص التى قدمها فى الكتاب ٠

الغزو الفكرى :

وقدمت مجلة « الكتاب العربى » عرضا لكتاب « الغزو الفكرى » الذى ألفه الاستاذ « محمد جلال كشك » ٠ ويبدأ العرض بمقدمة بين فيها الأستاذ عبد الصبور مرزوق « أن اى انحراف بالكلمة أو بالفكر فى أيامنا هذه لا يقل خطرا عن التعاون مع جيش العدو الزاحف » وبعد أن أوجز مضمون الفصول التى احتواها هذا الكتاب بين أن المؤلف تناول أكثر من نموذج كان كل منها يمثل فى رأيه التبعية الفكرية ، ثم يرى أن أخطر هذه النماذج هو أحد الذين يتصدرون مكان القيادة الفكرية فى أكبر صحيفة عندنا والذى يريد أن « يجعل الولاء للغرب شيئا مقننا مبنيا على نظريات ومبادىء » ، ومما تناوله الكتاب مسرحية « الراهب » للدكتوره لويس عوض فبين أن مضمونها السياسى يناقض مناقضة صريحة « الاتجاه العربى المعاصر نحو الوحدة العربية الشاملة بل انه ردة صريحة الى الاقليمية وتأكيد للانفصال » ، وغير ذلك من النماذج التى قدمها المؤلف ٠ وهذا الكتاب نفسه عرضه الأستاذ « عامر بحيرى » عرضا سريعا فى مجلة الثقافة بالعدد الذى قبل الفائت ومما قاله أن كتاب الغزو الفكرى ما يزال يلقى اهتماما متزايدا يوما بعد يوم فاذا تركناه ليخلف أثره السياسى والقومى كما قدر له فانما تأخذ عليه فى المجال الثقافى ٠٠ « انه كتب كتابة سريعة يدفعها الحماس والغيرة ودقة الحكم » ٠

حول معركة الشعراء :

وفى مجلة « صباح الخير » ينقل الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى وصفا لما دار فى اجتماع جمعية الأدباء أثناء مناقشة مذكرة لجنة الشعر ، ومع أننى لست مناصرا لفريق على آخر الا أننى وجدت فى كلام الشاعر حجازى تحاملا على الاستاذ يوسف السباعى واتهامه بالتحيز : من ذلك قوله، انالاستاذ السباعى « ترأس الجلسة بغير حق وانه أعطى نفسه سلطات واسعة فى ادارتها » ٠ ثم يصف الجلسة بانهكان فيها من « يرفع صوته ليحجب صوت معارضه » ، وأنه كان فيها من « يريد أن يغلق باب المناقشة بحجة انه لا يصح للأدباء مناقشة المذكرة ما دامت معروضة على الوزير» كما يذكر الاستاذ حجازى ان «البعض عمد باستعمال يده فى فض هذه المناقشة » ٠

ونستطيع ان نستشف من هذا الوصف أن الاستاذ السباعى ـ على الرغم مما يتهم به من البعض ـ فانه استطاع أن يدير الجلسة بحكمة وحنكة ومهارة وسط هذا الجو المشحون بالاثارات ٠ خاصة اذا علمنا أن رئيس الجمعية الدكتور طه حسين اعتذر عن الحضور وكذلك نائبه الاستاذ محمود تيمور ، وفوض الاستاذ يوسف السباعى أن يدير الاجتماع ، والاستاذ السباعى مع ذلك عضو مجلس ادارة الجمعية وسكرتيرها العام وله بهذه الصفة أن يتولى تنظيم الاجتماعات عند غياب الرئيس ٠

وعلى كل فالمشكلة لازالت قائمة والصراع محتدما بين انصار الشعر التقليدى وانصار الشعر الجديد ويتلخص هذا الصراع فى أن « أتباع القديم لا يستطيعون امالة هوى الشباب اليهم واتباع الجديد يضربون فى متاهات لغوية وعروضية وفكرية فلا يقوى على اللحاق بهم والفهم عنهم الا قلة قليلة » بل قد تسلل الى غبار المعركة كما يقول الاستاذ يحيى حقى « شعر مكتوب بالعامية يظن انه سيرث الارض ومن عليها » ٠

والمسئول أولا وأخيرا عن حل هذه الأزمة هم النقاد المخلصون الذين لا ينحازون ولا يتسترون وراء أغراض معينة ، هؤلاء وحدهم ، هم الذين سيكشفون لنا حقيقة هذه الأوجه المتصارعة ويبينون منها ما هو أولى وأجدر بالبقاء ٠

الاتجاهات الأدبية المعاصرة :

وأدلى الاستاذ محمد فريد أبو حديد بحديث الى مجلة المصور عدد ١١ ديسمبر ١٩٦٤ تناول فيه اتجاهاتنا الادبية المعاصرة ٠٠ ويقول الاستاذ فريد انه يقر كل « حركة أدبية ترعى أصول الادب الفنى مع رعايتها لمواريثنا الحضارية وحضارتنا الجديدة المنشودة ، كما أنه لايقر أن يكون الاديب ببغاء يقلد ولا يفهم ، ولذلك فانه لا يعجبه « هذا الطراز الجديد الذى يسمونه الادب الحديث مثل اللامعقول أو أدب العبث فهذه كلها لايمكن أن تعد نوعا من الادب فهى

دخيلة واصحابها مقلدون لا يفهمون ما ينقلونه ٠٠ بل يتكلمون كالببغاء بحروف لا يدرى معناها » ٠

ويبين الاستاذ أبو حديد أن هذا ينطبق على الذين يسيرون وراء الشعر الحديث ، ففي رأيه ان هؤلاء « يتكلمون مثلا عن شعراء كبار مثل ت٠س٠ اليوت يحاولون تقليد افكاره واسلوبه ٠٠ مع أن اسلوبه بالنسبة للانجليز اسلوب كلاسيكي ٠٠ يسير على عمود الشعر الانجليزي ، على حين أنهم عندما حاولوا تقليده خرجوا عن أساليب الشعر المعروفة لدينا في شكلها ومضمونها » ثم يقول الاستاذ أبو حديد ان « الشاعر اليوت عميق الفكر مثالي النزعة في حين أن من يقلدونه في غاية الضحالة» ويمضي الاستاذ ابو حديد موضحا أن الشعر العامي ليس بشعر « ولكنه زجل ، قد يكون طريفا اذا استمعنا اليه ولكنه لا يغذي أرواحنا بشيء فهو نسمعه على سبيل الفكاهة » ٠

جون شتاينبك الكاتب الامريكي :

ونشر الاستاذ رفيق الخوري في مجلة « العلوم » اللبنانية حديثا ادلى به في موسكو الكاتب الامريكي « جون شتاينبك » ، وقد وضع شتاينبك أدب الشباب الامريكي في المقدمة نظرا لما يقتضيه الوضع الطبيعي ويحلل ذلك بانهم « أكثر قدرة على التجربه والاحساس بالمناخ الجديد في امريكا وعن البحث الدائم عن الغرابة والشذوذ في الادب والفن والموسيقى والحياة » ثم يتحدث عن بعد النظر الذي كان يتمتع به الاقدمون قائلا «لقد كان جدي يعرف ماذا سيحدث بعد مائة عام، أما نحن فاننا لانستطيع أن نعرف ما الذي سيحدث غدا » ، وتلك هي مشكلة الادب الجديد ، انه يرفض الاشكال القديمة دون أن يخلق أشكالا جديدة » ثم ينصح الادباء الشبان مبينا لهم أن « الادب ليس مجرد وصف للاحاسيس والأشياء في مواجهة المشكلة ، بل هو الغوص في اعماق المشكلة » ٠

أبو حيان التوحيدي :

وعرض الاستاذ عبد الجليل حسن في مجلة « الكاتب » كتاب الدكتور زكريا ابراهيم « أبو حيان التوحيدي أديب الفلاسفة وفيلسوف الادباء » ٠

وقد ناقش الناقد القول بان أبا حيان التوحيدي قد عمل « على النزول بالفلسفة الى مستوى الجمهور ونشر الوعي الفلسفي بين جمهرة العامة والخاصة سواء بسواء »٠

ويرد الناقد مبينا أن هذا القول « لا يبرره الواقع التاريخي المعروف فلم يكن هناك وعي فلسفي بين جمهرة العامة وما كان أبو حيان بمستطيع أن يعمل على نشر الفلسفة اذ لم تكن هناك جماعة من الفلاسفة الادباء أحالت الفلسفة على حد تعبير الدكتور في صفحة (٢٩٧) الى ثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس وينهلون من معينها شتى ألوان المعرفة » ٠ والمعروف أن أبا حيان عاش في القرن الرابع الهجري وكان ثائرا على أخلاق مجتمعه وذم سير الناس الذين كان يحيا بينهم ، وتمرد على أحوال العصر الذي كان ينتسب اليه مما أدى الى انصراف الناس عنه واتهامهم اياه بالزندقة والخروج على الاسلام ٠

وفي مقدمة هذا الكتاب يلتمس المؤلف عذر القارىء عما قد يجده من تشويه أو تحريف ويقرر أن الصورة التي رسمها لشخصية أبي حيان لا تخلو من التحمس والتحيز ، ويدافع المؤلف عن وجهة نظره بانه اراد بذلك أن يبرز أبا حيان في صورة «مشوقة تثير اهتمام كل باحث عن الحقيقة » ٠

عصر المأمون :

وتحدث الدكتور محمد جمال الدين سرور في مجلة « العربي » عن « عصر المأمون » وما كان له من اثر على النهضة الفكرية العربية ، فقد تجلى في عهده ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الاجنبية، وخاصة من الفارسية واليونانية الى العربية ويوضح الباحث أن الخليفة المأمون لما هادن صاحب جزيرة قبرس بعث اليه يطلب بعض كتب اليونان ، فجمع ذوي الرأي عنده واستشارهم في ارسال هذه الكتب الى الخليفة فاشار عليه أغلبهم ألا يرسل اليه اي كتاب ، وقال له احد رجال الدين « الرأى أن تعجل بانفاذ الكتب الى الخليفة فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها » ، فأجاب صاحب جزيرة قبرس المأمون الى طلبه ٠

ويستخلص الدكتور أن عصر المأمون قد دونت ونظمت فيه كثير من العلوم سواء العقلية منها أو النقلية ، وأن العلماء كانوا يتسابقون في تدوين هذه العلوم ، كما أن بعض الشخصيات اخذت تتنافس الابتكار في سائر العلوم التي اشتغل بها المسلمون ، فضلا عما كان يتمتع به العلماء من حرية الرأى في هذا العصر ٠

« محمد العواني »



تعقيب
« ماهر البقرى »

كان الأستاذ الأديب طاهر الجبلاوى قد عقب على كلمة لأحد السادة القراء فى الرسالة العدد ١٠٨٣ بشأن اختلاف الرواية فى موضوع زيارة مصطفى كامل لمدرسة أسوان وعرضه للبيت :

والمرء ان لم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

واعتقد أن أصح الروايات ما يؤخذ من العقاد نفسه ، اذ هو بطل الرواية ؛ فهو يقول فى ص ٦٤ من كتاب (حياة قلم) انه كان متطوعا او متبرعا بالتعليم فى المدرسة الاسلامية وأملى مصطفى كامل بيت أبى العلاء لا الطغرائى :

والمرء ما لم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر

فلما اضطرب التلاميذ ولم يحسنوا الشرح أدركه قائلا « ان التلاميذ معذورون لأنهم يعلمون أن الغيم الذى يظلل الرءوس شىء نافع لا يضربون به المثل لقلة النفع ٠٠)

ويعقب العقاد بقوله (كنت أقدر من خطيب مثله أن يتقبله بالاستحسان والارتياح ولكنه تجهم وزوى وجهه ٠) وأحسب أن منطق العقاد كان يثير الارتياح والاعجاب معا لو كان صادرا منه وهو تلميذ أما وهو مدرس فانه يثير الاعجاب ، ولكنه لا يثير ارتياح الزعيم لما فيه من تسفيه الفكرة كما قال الأستاذ الجبلاوى فى كلمته السالفة ٠ وذلك مما يرجح عندى رواية العقاد على غيرها وان اتفقت جميعا على دلالة واحدة ٠

مرتزقة القلم
حسن سليمان ابو سنة

لقد انكشفت حقيقة عملاء المنظمة العالمية لحرية الثقافة ٠٠ وطفحت نفوسهم بما فيها من حقد أسود على تاريخ أمتنا المجيدة وتراثها المقدس ٠ ناسين متناسين ٠٠ تاريخ هذه الأمة وحضارتها التى كانت تشع نورا وهدى للعالمين ٠٠٠ يؤمها طلاب المعرفة وعشاقها من انحاء العالم بينما كان أسيادهم يغطون فى سبات عميق ٠٠ فيدبج هؤلاء العملاء المقالات المطولة فى التهجم على تراثنا وقتل كل ما هو قيم مضىء فى فكرنا ٠٠٠ فى مجلتهم الاستعمارية « حوار » ثم يأتى بعد ذلك من يدافع عن هذه المجلة زاعما أنه لم يجد ثمة دليلا على عمالتها ٠٠ ومدعيا بأنها مجلة عربية تخدم العروبة فاية عروبة تخدم هذه المجلة الاستعمارية ؟ ٠٠ هل كتبت عن الذين مزقت ظهورهم سهام الغدر وشردوا من ديارهم ؟ وهل كتبت عن الرابضين فى قمم الجبال يصارعون البغى والعدوان فى الجنوب العربى ؟ وهل كتبت عن قضية الحرية وعن حمامات الدم فى الكونغو ؟ هل كتبت عن هذه القضايا ــ يا من تدافعون عنها ؟ ــ بدلا من تسويد الصفحات الكبار فى التهجم على فكر ومقدسات هذه الأمة المجيدة واحتضان الشعوبيين الحاقدين والكتاب اللا أخلاقيين ــ والذين عفروا جباههم على أعتاب السفارات ليقبضوا الثمن وليزيدوا من نشاطهم فى

تنفيذ ذلك المخطط الذى وضعه لهم اسيادهم ، وهذا شان المرتزقة دائما ، فليس كافيا ان يتصدى لهم لكشف حقيقتهم الأديب الحر الأستاذ عباس خضر وبعض كتاب الرسالة الزاهرة ٠

بل أهيب بكل كتاب العروبة أن يتصدوا لهؤلاء ٠٠٠ مرتزقة القلم ليدحضوا افتراءاتهم ويعروهم امام الراى العام العربى ٠٠٠ ليكتسحهم الطوفان ويغوصوا فى القاع ٠

نقطة الزيت ! ٠٠
« عيسى متولى »

تذكرت ، وانا اقرا تفاصيل حادث الاختلاس الكبير ، الذى طالعتنا به الصحف ٠٠ اقول تذكرت موقفا من مواقف عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، يوم ولى امور المسلمين ، فكان واليا مثاليا ، يعطى ماالله لله ، وما لقيصر لقيصر ٠٠ لا يظلم احدا ٠٠ حتى قيل له ذات يوم : « حكمت فعدلت فأمنت فنمت » ! ٠٠٠

اما الموقف الذى اريد أن أتحدث عنه ، فهو موقف عمر من اموال الدولة ٠٠ وحرصه عليها الا تنفق فى غير الوجوه المشروعة ، مهما بلغت من الضآلة ٠٠٠

كان عمر ، رضوان الله عليه ، وهو يتولى مهام منصبه ليلا ، يضىء حجرته بسراج صغير ، به بعض نقط الزيت ٠٠٠

فاذا دخل اليه ذو حاجة ، بادر عمر بقوله :

ــ ان كنت جئتنى فى أمر يهم المسلمين ، تركت السراج مشتعلا ٠٠٠ وان كنت جئتنى فى امر لى اطفات السراج ! ٠٠

والى هذا الحد بلغ تمسك عمر بالمثل العليا ، فلا يفرط فى شىء لا يملكه ، ولو كان نقطة زيت ! ٠٠

سيقول بعض من الناس : وأين نحن من عمر ؟!

ولكن العبرة ليست بشخص عمر ٠٠ انما هى بمبادىء عمر ٠٠ وهى مبادىء الاسلام القويمة ، التى كانت فى مقدمة مقومات انتشار دعوته الحقة ، وانتصارها ! ٠٠٠

سلام عليك يا عمر ٠٠ فقد وضعت للانسانية مبادىء العدالة ٠٠٠ والنزاهة ٠٠٠ والقيم الخلقية الفاضلة ! ٠٠٠

انني فوق السحاب !.
احمد عبد اللطيف بدر

ايها المخدوع بالقول الكذاب
لا تصدق ٠ انني فوق السحاب !
وارتياب «الحاقد» الباغى اسى
فى فؤاد ، لم يجد غير ارتياب
حقده المسموم فى مهجته
قد تفشى بين بغض واكتئاب
فى سواد الوجه رمز ماثل
عن ظلام القلب ، او قصد الخراب!
شامخ الراس بعقل فارغ
غير افكار تبدت من ضباب
يامل الدنيا على اوهامه
لكن الآمال تبدو كالسراب
خائب المسعى وفى خيبته
طبعه الوحشى من طبع الذئاب !
عائب « للفضل » يزرى فعله
كل ما يصدره ، رذل يعاب
ظن أن الكون فى قبضته
خيب القصد ولكن فيه خاب
صار يستجدى وجودا فارغا
بين ذل ، وامتهان ، واستلاب !!

❋ ❋ ❋

ايها المخدوع حكم فطنتك
واحتكم للحق ، وابعث حكمتك
لا تكن طوع الهوى فى وهمه
عزة الراى تلافى عزتك
انت ذو فكر وفى لمعته
آية تزهو ، وتعلى فكرتك
هل حكمت الحكم عن « بادرة » ؟
هل رايت الفعل زكى نظرتك ؟
ليس حكم السمع الا خدعة
لا تدع غرا يوالى خدعتك !
سوف تلقى من تسامى سعيه
نحو مجد قد تمنى لقيتك !!

التضحية

قصة بقلم: الدكتور نجيب الكيلاني

كان القطار القادم من «اسوان» يطوى الارض فى سرعة مجنونة ، لكن لم يكن فى استطاعته ان يسبق تلك الآمال الرفرافة التى تنبعث من قلب المهندس «اسامة» ـ انه يحاول ان ينسى ـ الى حين ، ليالى العمل الشاق فى السد العالى .. ولم يعد يذكر سوى انه سيلتقى بامه بعد فراق دام اربعة شهور كاملة .. اجل .. اجل .. سوف يضغط على جرس الشقة ثلاث ضغطات متتالية ، وستقهم امه على الفور الرين المميز فتجرى الى الباب وتختطف ابنها بين ذراعيها .. وتغرق وجهه النضر بالقبلات الحانية .. ثم تعود لتتامل قسمات وجهه فى ابتهال وشغف ، وكأنها تتعبد .. وسيرمقها هو الآخر بعين دامعة فيها تقدير وتقديس وعرفان بالجميل .. وهل يستطيع ان ينسى ؟ .. مستحيل .. ان امه قد صنعته .. قد جعلت منه رجلا .. سهرت الليالى الطويلة تخيط الملابس للزبائن ، وتجمع القرش على القرش ، وتقنع بنصف اكلة ، ولا تخجل من ثيابها التى رثت وحال لونها ، ولا تفكر فى نوبات ضغط الدم التى تنتابها من آن لآخر ، لم يكن يشغل ذهنها سوى اسامة ، لقد تركزت فيه كل آمالها وامنياتها الحلوة بعد موت ابيه ، لم يقف الفقر عقبة فى اتمامه لتعليمه ، كانت الام تحشد كل طاقاتها من اجل الحصول على القرش ومن طريق شريف .. لابد ان تكون الوسيلة نظيفة طاهرة تتناسب مع الهدف الرائع الجليل الذى تسعى اليه . وهكذا اصبح اسامة مهندسا .. لم يكد يمر على تخرجه بضعة ايام حتى صدر اليه امر تكليف بالعمل فى السد العالى .. فى اقصى صعيد مصر .. فترك امه منذ شهور اربعة .. وها هو يعود الى القاهرة واللهفة تسبقه .. والذكريات الشجية تمر فى وجدانه .. لقد عاش طوال هذه الفترة لا يفكر الا فى شىء واحد وهو رد الجميل .. لقد ضحت امه بحبات عيونها .. ولا بد ان يكون لهذه التضحية ثمن كبير .. ومهما كبر الثمن فلن ترتفع قامته الى القمة الشامخة التى بلغتها امه بتضحياتها انه يعود اليوم وفى حقيبته علاج ضغط الدم .. واقراط ذهبية وانواع فاخرة من الثياب .. وبعض التحف الجميلة .. وقدر من المال لاباس به استطاع ان يدخره .. ليس هذا وحده ، بل انه سوف يحمل امه معه الى اسوان .. حيث المسكن النظيف الانيق الخاص به ، وحيث وسائل الراحة .. الثلاجة .. والبوتاجاز .. والغسالة الكهربائية .. والخادم الطبع .. كل شىء سيكون مجندا لخدمة امه وراحتها .. لو طلبت منه افضل ما يملك لوهبه لها عن طيب خاطر ولظل يشعر بالتقصير حيالها ليس هذا مجرد حب .. انما هو شعور غريب اقرب ما يكون الى العبادة .

ـ ولم لا ؟ ..

يكفى انها صنعت منه انسانا عظيما باضعف الامكانيات وفى احرج الاوقات .. وبناء انسان اروع بكثير من بناء عمارة شامخة او ناطحة سحاب .. لم يزل القطار ينهب الارض نهبا ، ولم تزل امنيات اسامة تسابق القطار ، فتسبقه .. والساعات التى يقطعها المسافر من اسوان الى القاهرة طويلة .. طويلة .. تثقل على قلب اسامة وتورثه الملل والضيق . انه يريد ان يغمض عينيه ويفتحها فيجد نفسه بين ذراعيها .. فى لحظات .. لكن اسامة يحاول ان يتغلب على الملل الذى يكاد يخنقه بالعبارة الخالدة التى كانت ترددها امه ايام الكفاح المرير والازمات القاسية «الصبر طيب .. ومن صبر نال» .

واخيرا بعد ساعات من الشوق الحارق بلغ القاهرة .. وغاص فى شوارعها الكبيرة التى تغص بالشتات البشر .. ما اروع المدينة واحبها الى نفسه .. ان روحه تعانق كل شىء فيها .. مبانيها .. مقاعدها .. مسارحها .. نيلها .. الناس والجماد والحياة المتحركة الفائرة .. وخفق قلبه خفقات متلاحقة سريعة وهو يدلف الى عطفة «فواوير» بحى «السيدة» .. كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل ، وعلى الرغم من برودة الجو كانت جبينه منداة بالعرق ، وانفاسه لاهثة حارة .. لم يعد يرى امامه سوى باب الشقة المتواضعة .. الباب الذى تقف من ورائه امراة يعبدها بوجهها الشاحب المستدير وعينيها اللتين تشعان بريق الامل والايمان والحب والصبر .. وثوبها الاسود الذى يضفى عليها وقارا من نوع غريب .. وقارا يرغم الناظر اليه على الخشوع والسجود .. ومن خلال زجاج الباب لمع الضوء

الشاحب المختفر ، لم يضع الوقت ، بل رفع يده المرتعشة وضغط على الجرس ثلاث مرات .. وانتظر .. ودق قلبه اكثر من ذى قبل وتناوشته الشكوك .. لكنه سمع وقع خطوات متباطئة وانفرج الباب .. عن وجه جدته لامه .. وابتسم .. ووقف جامدا بضع لحظات .. ثم اختطف يدها فى رفق وقبلها فى حرارة .. ورفعت الجدة عينين كليلتين وهتفت بصوت يخالطه الانفعال :

ـ اسامة ؟ ..

ـ اجل .. لكم تشوقت اليكم

ودار بنظراته فى ارجاء الشقة الشاحبة الضوء وهتف :

ـ هل نامت امى ؟

وتنحنحت الجدة ثم سعلت ، وقبل ان تلوذ بالصمت قالت :

ـ حمدا لله على سلامتك .

وقال فى قلق :

ـ سوف ادخل لاوقظها .. ستكون مفاجأة سارة بالنسبة لها عندما ترانى واقفا الى جوار سريرها ؟ .. وعندما هم بالاندفاع نحو حجرتها . امسكت الجدة بذراعه وتشبثت به فى وهن وهى تقول :

ـ انتظر .. انها ليست هنا .

ـ اين ؟ ..

ـ فى مكان امين ..

لم تحتمل شيخوختها الاعصار الذى هب ، الجمتها المفاجاة ، والليل قد مضى نصفه والكون ساكن بارد مشحون بالقلق والخوف واسامة يقف مذهولا حائرا ، وعاد يقول فى اصرار :

ـ قولى يا جدتى .. اين هى ؟

وغاضت دموعها ، وانطلقت الكلمات من فمها الضامر مختلطة مبتورة لاتكاد تفهم ، ثم ترنحت وارتمت على الارض الباردة الصخرية وهى تغمغم :

ـ الاعمار بيد الله ياولدى ، كانت سعيدة منشرحة .. وكانت تضحك ملء شدقيها وتستخرج خطاباتك وتلثمها بشفتيها فى حنان دافق .. لكن نوبة قلبية داهمتها .. نقلناها فورا الى القصر العينى .

فقاطعها قائلا :

ـ هى فى المستشفى الآن ؟

فاستطردت دون ان تلتفت الى ما قال :

ـ وفى نفس الليلة لفظت انفاسها .. وصرخ وهو يقذف بالحقيبة الى ركن قصى فى الصالة :

ـ ماتت ؟

ـ الله يرحمها ..

ـ مستحيل .. هذا ظلم ..

ـ انها ارادة الله ياولدى .. تقلصت يداه وارتسم الذهول على ملامحه لحظات قصارا .

وبدت الحياة امام عينيه تافهة حقيرة .. خاوية .. لا عدل فيها ولا جمال .. ثم القى بجسده ـ دون وعى ـ على (كنبة) مهترئة .. متهالكة وسط الصالة وانفجر باكيا .. كانت دموعه تتدفق صاخبة غزيرة ، وجسده كله ينتفض ، ونشيجه العالى يتردد عبر الصمت والبرودة ، والليل الحزين ..

وبعد فترة لا يدرى اطالت ام قصرت رفع عينيه المحتقنتين الى وجه جدته المتغضن وهمس فى صوت يكاد يحبسه البكاء :

ـ لقد عشت ايام كفاحى على امل ان ارد لها الجميل .. ان اعوضها عن شقائها وعذابها وسهرها الليل .. اجل .. كانت تضحيتها فوق التصور ..

وهمست الجدة فى نبرات راعشة :

ـ لو كان للتضحية ثمن لما سموها تضحية .

ـ كيف ؟ .

ـ كانت امك تفعل ما تفعل دون انتظار لشىء .. كان يكفيها ان تستشعر تلك السعادة الغامرة التى تترقرق بين جوانحها وهى تضحى كل شىء .. وعندما تكون التضحية بثمن فستتحول الى صفقة دنيئة .. لم تكن امك تفكر فى شىء اسمه التضحية ، كانت تقوم بدورها نحوك لانها يجب ان تفعل ذلك .. مجرد واجب مفروض تؤديه ولا شىء غير ذلك .

قال وهو يحاول تجفيف دموعه . :

ـ لكنه واجب الشكر .

ـ بالنسبة للاخرين ربما يكلفك الكثير ، اما بالنسبة لامك فهو شىء آخر .. دمعة خالصة على قبرها .. او وفاء صادق لذكراها .. او دعوات صالحة .. اشياء فى القلب ، وليس مكانها الجيب ياصغيرى الحبيب .

وتنهد فى حرارة ، ورمق الحقيبة بعين دامعة ، ثم خطا نحوها فى الم ، واستخرج الهدايا ، واخذ يقلبها بين يديه وطوفان من المشاعر المتدفقة يغرق قلبه ، واقتربت الجدة منه وقالت :

ـ لا تحزن .. تستطيع ان تحتفظ بهذه الهدايا لزوجة المستقبل .. لا تتالم ولا تتهمنى بقلة الذوق وعدم احترام احزانك .. هذه هى الحقيقة .. واؤكد لك ان امك ستكون سعيدة فى قبرها .. وخاصة عندما ترى ابنها انسانا يعيش بقلب نبى .

وران عليها الصمت ، ووثبت افكاره الى بعيد .. الى حيث تثوى امه فى حفرتها المنعزلة ، ثم هب واقفا :

ـ الى اين ياحبيبى ؟ .

ـ اليها ..

ـ الآن .. ؟

ـ اجل .. لاذرف دمعة وفاء .. على قبرها .

ـ فى هذا الوقت من الليل ؟ .. لماذا لا تنتظر حتى الصباح ؟

واندفع خارجا وهو يقول :

ـ لا استطيع .. لا استطيع .

د . نجيب الكيلانى



الدار القومية للطباعة والنشر

العدد ٧٥

الثمن ٣